رِوَايَة

لَنْ تُطِيقَ مَعِي صَبْرًا

٠:١٣
٨:٢١ م
٠:٠٤
٨:٢٢ م
٠:١٠
٨:٢٢ م
مهاب أنا محتاجة ليك بجد، ده أكتر وقت محتاجه لوجودك فيه .. تعالي بقى..
GAME !

مقدمة

أَن تَرْغَب فِي شَيْءٍ هَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فَأَنْت إنْسَانٌ خُلِقَت لَدَيْك رَغَبَات ولديك احْتِيَاجَات أيضاً . .

أَن تَتَمَنَّى شَيْءٌ وتنتظره . . فَهَذِه سُنَّةُ الْحَيَاة ، لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ بِهَا مُتَاحٌ فنتمنى وننتظر . . وندعوا !

لَكِنْ إنْ تَرْغَب ، فتتمنى ، فَتَدْعُوَا . . . فَتَنْقَلِب حَيَاتِك رأساً عَلَى عَقِبٍ وَلَا تُعْلَمُ هَلْ فِي النِّهَايَةِ ، ستحصل عَلَى مَا هَلَكَتْ مِنْ أَجْلِهِ ؟ أَم ستبقى منتظراً طِوَال حَيَاتِك ؟ فتكتشف فِي النِّهَايَةِ إنّك كُنْت جزءاً مِن مُعْجِزَةً مَا ! فَهَذَا مَا لَمْ يُصَدِّقْهُ أَحَدٍ حَتَّى الْآنَ . . حَتَّى أَنْت !

.

آلاء حسين الجمل

1

أحياناً تَظُنّ أنَّك تَسِير طَرِيقَك فِي حَيَاةِ عَادِيَة ، مَلِيئَة برُوتِين واشخاص مَأْلُوفَة وُجُوهِهَا لصباحك ، وَلَكِنَّك لَا تُعْلَمُ أنَّك قَطَعَه صَغِيرَةً فِي كَوْكَب مَلِيَّء بالمفاجأت الَّتِي تَدُورُ مِنْ حَوْلِك دُونَ أَنْ تنتبه لَهَا . . .

عِنْدَمَا يحين الْوَقْت لتدرك مَا يَحْدُثُ حَوْلِك ستشعر أنك جُننت ، أَوْ أَنَّك دَاخِل حُلم خُرافِي لَا يُصَدَّقُ . . .

هَكَذَا كَانَتْ لَحْظَة إدراكي لِمَا يَحْدُثُ مِنْ حَوْلِي ، حِينِهَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَم هَل أَشْكُر اللَّهُ عَلَى حُبِّهِ لِي فَسَخَّر لِي كُلُّ ذَلِكَ ؟ أَم أَتْرُك لعقلي صَلَاحِيَّتِه فِي عَدَم التَّصْدِيقِ ؟

كُنْت احْتَاج الْوَقْتُ الْكَافِي لِلِاسْتِيعَاب لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتٍ لِلِانْتِظَار . .

مَا أَتَحَدّث عَنْه سَأُخْبِرُك بِهِ وَأَنَا مُدْرِك تماماً أَنَّك ستنعتني بِالْمَجْنُون، وَلَن تُصَدَّق . . لَك ذَلِكَ؛ فَأَنَا مَازِلْت لَا أُصَدِّقُ رَغم إيمانِي بِكُلِّ مَا حَدَثَ .

أَنَا مُهَابّ صَاحِب ال28 عاماً مِنْ الْحُرِّيَّةِ ، 28 عاماً مِنْ الشَّبَاب الَّذِي حَاوَلَت بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ أَنْ أَمْلَأه أحْدَاث مُمَيّزَة أَحْكِي عَنْهَا لِأَوْلَادِي، لَكِن فَشُلَّت؛ فَكُلُّ مَا فَعَلَتْهُ هُوَ الْعَمَلُ، وتكوين صداقات تَبْدَأ بمكالمة هاتِفِيَّة

لِدَعْوَى لِلْخُرُوجِ فِي أَيِّ مَكَان لِلتَّرْفِيه ، وَتَنْتَهِي بَعْدَ انْتِهَاءِ تِلْكَ السَّاعَاتِ مِنْ الْمَرِح، وَالضَّحِك، وَالطَّعَام اللَّذِيذ . .

شخصاً عادياً يَبْحَثُ عَنْ الْحُبِّ فِي وُجُوهِ الْفَتَيَات بِصَمْت ، لَكِنَّنِي لِلْأَبَد لَمْ أَسْتَطِعْ التَّجْرِبَة . . حَتَّى وَإِن جُذِبَ قَلْبِي بِقُوَّة لِإِحْدَاهُنّ ، حَقِيقَةِ الْأَمْرِ كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرِ مِنْ الْمَوَانِعِ عِنْدَمَا أُفَكِّر فِيهِمْ لَا أَجِدْهُم . . فقط أَشْعَر بِهِم . . أَشْعَر بِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ وَلَا أَرْغَبَ . . . . رُغم احْتِيَاجِي الشَّدِيد لِلْحُبّ وَالْمُشَارَكَةِ فِي حَيَاتِي .

حَتَّى أَتَى ذَلِكَ الْيَوْمِ . .

يَوْمٌ عَادِيٌّ بَدَأ مَلَلُه مبكراً ، قَرَّرْت الِانْسِحَاب وَالذَّهَاب فِي أَيِّ طَرِيقَ يتخذني لِشَيْء يَقْتَحِم مللي فَاتَّصَلَت بِصَدِيقِي حُسَام ، يَسْكُن بِالْقُرْبِ مِنْ مدينتي وَهَذِه الْمَدِينَة تَكُون مَكَان عَمَلِي ، فاتفقنا بِأَن أَذْهَبُ إِلَيْهِ وَمَنْ مَنْزِلَة نَنْطَلِق بسيارته إِلَى كَافِيَةٌ فِي وَسَطِ الْبَلَدِ أَعْتَدْنَا الذَّهَابُ إِلَيْهِ فِي العطلات . .

كُلِّ شَيْءٍ سيسير كَمَا خططنا لَهُ حَتَّى حَدَثْتُ لَهُ بَعْضُ الظُّرُوف قَبْل وُصُولِي لِمَنْزِلِه بِدَقَائِق ، فَعُدَّت أَدْرَاجِي وحيداً فَقَرَرْت أَنْ أَذْهَبَ بمفردي ؛ فَلَنْ أَعُودَ لكأبة الْمَنْزِل خَاصَّة أَنَّهُ يَوْمُ عُطَّلَه نهاية الْأُسْبُوع . . .

صَعِدَت الحافلة الْوَحِيدة الْمُتَوَجِّهة إِلَيّ طَرِيقِي ، وَلِسُوء الْحَظّ . . أَوْ رُبَّمَا لِحُسْنِه . . كَانت مُمْتَلِئة وتتبقى الْكَرَاسِيّ فِي الْمُنْتَصَفِ فَارِغَة ، أَخَذَت أتفحص بنظرتي هَل سَأَجْلِس عَلَى أَحَدِهِمْ أَم أَرْحَل فَلَم أُفَكِّر كثيراً . .

وَقَع بَصْرِيٌّ عَلَى وَجْهِ أَعْرِفُه جيداً وَعِنْدَمَا أَرَاه ملامحي تَنْسَى أَنَّ لَهَا تَعَابِير أُخْرَى غَيْرِ الِابْتِسَام ، رَأَيْت أَصَالَة جَالِسَةٌ بِالْكُرْسِيّ الفردي الَّذِي إِنْ قَرَّرْتُ الْجُلُوس سأجاورها بِه ، فَقَرَرْت الْجُلُوس دونَ تَفْكيرٍ .

أَصَالَة تَكُونَ إحْدَى عملائنا الَّتِي أَصْبَحَتْ تَأْتِي إلَيّ فَرْعٌ شركتنا مؤخراً لتصميم بَعْض الدِّعَايَة لمشروعها الْجَدِيد لتصميم الأزياء . . . هِي شَخْصٌ مُبْتَدِئٌ لَكِنَّهَا مجتهدة وَهَذَا مَا شَعَرْت بِهِ مِنْ حَدِيثَيْ الْبَسِيط مَعَهَا .

كُلّ شَيْءٍ إلَى تِلْكَ النُّقْطَةِ كَان عادياً ، كُنْت اِنْتَظَرَ أَنْ تنتبه لوجودي بجوارها لَكِنْ لَمْ يُحْدِثْ فَقَدْ كَانَتْ سِمَاعَة الْإِذْن الْخَاصَّة بِهَا الَّتِي تَضَعهَا ، تعرقلني عَن مُحَاوَلَة بَدَأ حَدِيث مَعَهَا . .

كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ شَيْءٌ مَا بهاتفها يَجْذِب كُلّ انتباهها . . .

وَحَقًّا جَذَب كُلّ حواسي ومشاعري أَنَا أيضاً . . . لَمْ أَكُنْ اقْصِد أَنْ أَنْظُرَ لهاتفها لَكِنْ بِحُكْمِ أنني أَطْوَلُ مِنْ قَامَتُهَا بِكَثِيرٍ مِنْ السنتيمترات ، وَلِقُرْب مَقْعَدِي مِن مَقْعَدُهَا ، وَلِأَنِّي أَحْفَظ ملامحي بِشِدَّة فصعقت عِنْدَمَا وَجَدْتهَا تَنْظُرُ إلَى إحْدَى صُورِيٌّ عَلَى هاتفها وَلَا تنتبه لِأَيّ شَيْءٍ يَدُور من حَوْلَهَا .

ظَلِلْت أدقق النَّظَر لأتأكد . . نَعَمْ هَذِهِ صُورَتَي ، لِمَاذَا هاتفها يَحْتَوِي على صُورَتَي ؟ وَلَمَّا تَنْظُرُ إلَيْهَا هَكَذَا ؟

زَاد اندهاشي عِنْدَمَا وُجِدَت أَنَّهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ صُورَةٍ ، هَذِهِ صُورَةٌ مُحَادَثَة الواتساب الْخَاصَّة بِي ، وَهُنَاك خَانَه للرسائل بَيْنِي وَبَيْنَهَا بِالْفِعْل . . . ضَغِطت عَلَيْهَا لِتُكْتَب لِي ! !

وَهَذِهِ لَمْ تَكُنْ الرِّسَالَة الْأُولَى ؛ فلاحظت أَنَّ هُنَاكَ بَعْض التَّسْجِيلَات الصَّوْتِيَّة الَّتِي أَرْسَلْتهَا قَبْلَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ الَّتِي تُكْتَبُ فِيهَا لِي (أنا محْتَاجَةٌ ليك بِجِدّ ، دَه اكْتَر وَقْت محْتَاجَةٌ لِوُجُودِك فِيه . . تَعَالَى بقى)

أَرْسَلْت الرِّسَالَة وَأَنَا أحملق فِيهَا تَارَةً، وَفِي هاتفها تَارَةً أُخْرَى وَلَا أَفْهَم أَيّ شَيْءٍ ، تلقائياً أَمْسَكَت هاتِفِي وَنَظَرْت إنْ كَانَ وصلتني رَسَائِل نصية مِنْهَا فَلَمْ أَجِدْ أَيّ شَيْءٍ ، كِدْت آجِن . . . راقبتها فَوَجَدْتهَا تُغْلِق هاتفها وَتَنْظُر خَارِج النَّافِذَة فِي هُدُوءٍ تَامّ جَعَلَنِي أَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ طَبِيعِيٌّ وَالْخَلَل بِي أَنَا!

قَاطِعٌ حَيْرَتِي صَوْت السَّائِق وَهُوَ يَطْلُبُ أُجْرَتِهِ مِنْ الْجَمِيعِ ، هِيَ لَمْ تَكُنْ تنتبه وَعَلَى مَا يَبْدُو أَنَّهَا لَا تُسْمَعُ صوتاً خَارِج سِمَاعَة اذْنِهَا وأفكارها ، أُخْرِجَت محفظتي وَأُعْطِيت الشَّخْصِ الَّذِي أَمَامِي أجرتي وَأُجْرَتُهَا وَعَدْت أُنْظُر لَهَا لأجدها تُمَدّ يَدَيْهَا لِي بِقِيمَة الْأُجْرَة الْخَاصَّة بِهَا وَتَنْظُر أرضاً دُونَ أَنْ تَرى وَجْهَي

-أتفضل الْأُجْرَة .

--بس أَنَا دَفَعْت خَلَاص .

نَظَرْت إلَيّ تلقائياً لَأَجِد الدَّهْشَة والتوتر يصرخان مِن مَلامِح وَجْهِهَا الْحَزِين ، رَأَيْت بنظرتها لُمْعَةٌ لَمْ أَرَهَا مِنْ قِبَلِ فِي أَيِّ مَرَّةً أَتَت لمكتبي فِيهَا..
الْيَوْم تِلْكَ اللُّمْعَةِ تُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ مَا لَا أَسْمَعَهُ ، اِبتسَمَت لَهَا وَأَنَا دَاخِلِيّ كَثِيرٍ مِنْ التساؤلات تَرْغَب فِي الِانْدِفَاعِ فِي وَجْهِهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً لَأَجِد أَجَابَه تريحني .

-استاذ مُهَابّ ! أزيك ؟

تتعامل وَكَانَ مَا رَأَيْته مِنْ ثوانٍ قَدْ حَدَثَ دَاخِلٌ عَقْلِيٌّ فَقَط ! تتعامل وَكَأَنِّي شَخْصٌ غَرِيبٌ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُخْبِرُنِي باحتياجها لِي قِبَلَ ثانيتين ! !
زَادَت حَيْرَتِي ، فَلَوْ أَنَّ مَا أعتقدته صحيحاً، وَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَنْتَحِلُ شخصيتي ويُحادثها ، فَكَانَت ستختلف رَدَّة فِعْلِهَا عِنْدَمَا تَرَانِي ، فَهِي تُحادثني وَكَأَنِّي شَخْصٌ يَخُصُّهَا بِالْفِعْل وتتكلم بارتياحيه تَدُلّ أَنَّ لَنَا حَدِيثٍ طَوِيلٍ مِنْ قِبَلِ ،

فَكَيْف تندهش لرؤيتي وتحادثني بِهَذِه الرَّسْمِيَّة لَوْ كَانَتْ تَتَحَدّث إلَى أَحَدِهِمْ عَلَى أَنَّهُ أَنَا ! !

كَاد عَقْلِيٌّ يَنْفَجِر فحاولت أَن أَتَخَلَّى عَنْ تَحْلِيلَي لِمَا يَحْدُثُ لِدَقَائِق ، وَقُرِرْت أنْ أَكْمَلَ الْحَدِيثِ كَمَا هِيَ تُدِيرُه حَتَّى أَرَى مَا الَّذِي سينتهي إلَيْهِ فِي النِّهَايَةِ؟

-الحمد لِلَّهِ يَا أُسْتَاذِه أَصَالَة ، حَضَرَتْك عَامِلِه آيَه؟

--الحمد لِلَّه . . اتفضل الْأُجْرَة أَنَا بِس مَا أخدتش بَالِي مِنْ صَوْت السَّوَّاق صَوْت الميوزك كَان عَالِي .

-بس أَنَا مادفعتش علشان ماأخدتيش بَالُك ، شِيلِي فلوسك دَه كَلَام بَسِيطٌ مَش مُحْتَاجِين نتجادل فِيه .

كَانَت مرتبكة وَرَأَيْتُ ذَلِكَ فِي ارْتِبَاك حركاتها وَنَحْن نتجادل ، وَسَمِعْتُهُ مِنْ نبرتها المهتزة الْغَيْر وَاضِحَةٌ . . تتحاشى النَّظَر إلَيّ ، وَفِي النِّهَايَةِ عَادَت لصمتها وهدوءها بِجِوَار النَّافِذَة . .

ظلّ صَمْتُهَا يستفز حِيْرَتِي ، وتلتهم التساؤلات صَبْرِي فَقَارَب عَلَى النَّفَاذِ حَتَّى وجدتني أَسْأَلُهَا بِدُون مُقَدِّمَات :

-رايحة فِين كَدِّه ؟

تنحنحت بتوتر وأجابت وَهِي تَخْتَلِس النَّظَر إلَيّ وَتَعُود لِتَنْظُر لأصابع يَدِهَا الَّتِي تشبكهم بَعْضُهُم الْبَعْض :

- فِي حَدِيقَةِ فِي نَصّ الطَّرِيق هنزل عِنْدَهَا .

--خارجة أنتي وَأَصْحَابُك يَعْنِي .

زَاد توترها فَأَخَذْت تضغط عَلَى أَصَابِعِهَا أَكْثَر وَتُجِيب :

-لا . . هروح لوحدي .

تَعَجَّبْت فَسَأَلْت :

-أيه دَه لَيَّه لواحدك ؟

أَجَابَت بَعْدَ أَخْذِ تَنْهِيدَةٌ قَوِيَّةٌ أخافتني :

-كل فَتْرَة والتانية بَحِبّ افْصِل مِنْ الْبَشَرِ وبروح أَشْرَب قَهْوَة هُنَاكَ فِي الهوا وَوَسَط الخَضَّار الْوَاسِع اللَّيّ بيريحني .

--ليه مَش بتروحي كَافِيَه مثلاً ؟ فِي كافيهات حلْوَةٌ كتير فِي وَسَطِ الْبَلَدِ !

-بابا وماما بيخافوا يخرجوني لوحدي وَعَلَى الْأَخَصّ الكافيهات ، فبستغل أَن الحَدِيقَة دِي قَرِيبَة مننا وَأَنَّهُم بيوافقوا علشان كمَّان بيكون مُعْظَم اللَّيّ فِيهَا أَسَرّ فمحدش هيضايقني .

اِبتسَمَت فَكَانَت إجاباتها تَدُلّ على كَم أَنَّهَا شَخْصٌ مُتَحَفِّظ وهادئ . . وأيضاً بَسِيطٌ .

انْتَهَى طَرِيقُهَا بِسُرْعَةٍ كَبيرةٍ . فَرَحَلْت بَعْدَمَا وَدَّعَتْنِي بابتسامة وَنَظَرُه جَعَلْتنِي أَوْقَف السَّائِق بَعْدَهَا بدقيقة وأعود خَلْفَهَا، وَأَذْهَب خَلْف خطواتها وَلَا أَعْلَمُ كَيْفَ أوصلني تهوري لِتِلْك النُّقْطَة ؟

ناديتها فَتَوَقَّفَت وَلَم تَنْظُر لِلْخُلْف، فَتَوَقَّفَت خَلْفَهَا بِخُطُوات بسيطة انْتَظَر أَي أَجَابَه لَكِنَّهَا ظَلَّت وَاقِفِهِ وَلَمْ تَلْتَفِت لِي ، نَادَيْت مجدداً وَأَنَا اقْتَرَب خَطْوَةً أُخْرَى لأقترب بِحَذَر ، التَّفَتُّت لِي بِبُطْء وَعِنْدَمَا رَأَتْنِي لَمْ تَسْتَطِعْ كَبَح صدمتها عَنِّي فوصلتني شهقتها . .

-خضيتك ؟

--ح . . حَضَرَتْك بتعمل آيَه هنَا ؟

نَظَرْت مِنْ حَوْلِي لَا أَجِدُ أَجَابَه مُنَاسَبَةٌ؛ فَلَو صَدَقْت لَقُلْت أَنَا هُنَا لَأَعْلَمُ مَا الَّذِي يَحْدُثُ ؟ وَكَيْف لِكَي أَن تعرفيني أَكْثَرَ مِمَّا أَعْرِفُك ؟

كَذَبْت :

-أصل أَنَا نَسِيَت اقولك إنِّي أَنَا جاي أقَابِل أَصْحَابِي هُنَا برضه .

سَأَلْت فأربكتني :

-فين أَصْحَابِك ؟ قَرِيبَيْنِ مِنْ هُنَا ؟

قُلْت :

-لا هُمَا لسه فِي الطَّرِيقِ . . تسمحيلي أَرْخَم عليكي وَاقْعُد معاكي شُوَيَّة لِحَدّ مَا يجوا ؟

اعْلَمْ أَنَّهَا لَنْ تَقُومَ بإحراجي وَبِالْفِعْل لَم تَعْتَرِض ، جَلَسْنَا عَلَى أَحَد الْمَقَاعِد الخَشَبِيَّة أَسْفَل مظلة كَبِيرَة أَمَامَهَا بَحِيرَة صَغِيرَة، تَنْعَكِس عَلَيْهَا أَشِعَّةِ

الشَّمْسِ وَتُضِيء عَيْنَيْهَا بِمَا يَكْفِي أَنْ يَجْعَلَنِي أُفَكِّر بِكَيْف لِي أَنْ أَتَرَدَّد كُلّ تِلْكَ الْمُدَّةِ بِالتَّقَرُّب مِنْهَا ؟. . . . نَعَم فَتِلْك آخَرَ مِنْ تحدت مَبادِئِي ورفضي للخوض فِي مَشْرُوع الزَّوَاج . . . تِلْكَ الَّتِي جَعَلْتنِي أُفَكِّر لشهور كَثِيرَةٌ فِي التَّخَلِّي عَنْ عزوبيتي وَأن أَخْبَرَهَا أَنَّ لَهَا تَأْثِير غَرِيبٌ عَلَى مشاعري دُونَ أَنْ تتفوه بِكَلِمَة .

طِوَال تِلْكَ الْمُدَّةِ الْكَبِيرَة كُلَّمَا أَتَت لِيَوْمٍ وَاحِدٍ إلَى الْمَكْتَبِ تَظَل مُحتلة تَفْكِيرِي لأسابيع واقاومها ، أَعْلَم جيداً سَبَبٌ مقاومتي لفكرة الزَّوَاج لَكِنِّي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ لَهَا وَحْدَهَا أنْ تَضْعُفَ تماسكي فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَظْهَرُ فِيهَا فِي حَيَاتِي

انتشلتني مِن صَمْتِيّ وشرودي فِي عَيْنَيْهَا بنحنحتها وَإبْعَاد انظارها عَنِّي ، أَخَذَت أُنْظُرْ مَنْ حَوْلِي أَتَعْرِف عَلَى تَفَاصِيلِ مَكَانَهَا الْمُفَضَّل وَقَطَعَت الصَّمْت بِجُمْلَتِي :

-جميل الڤيو دَه ، أنتي بتقعدي فِي الْمَكَانِ دَه دايماً ؟

اِبتسَمَت وتنفست بِعُمْق وأجابت ولازالت نَظَرْتُهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمِيَاه أمَامِنَا :

-أه كُلِّ مَرَّة بقعد هُنَا، وَالْغَرِيب أَنَّ كُلَّ مَرَّة بيكون الْمَكَان فاضِي فَبِقَدْر أَقْعَدَ فِيهِ .

أَتَى إلَيْنَا أَحَدَ الْعَامِلِينَ بِالْمَكَان ووجدتها تَبَادُلُه الابْتِسَامَة بَعْدَمَا أَلْقَى عَلَيْهَا التَّحِيَّة وَسَأَلَهَا إنْ كَانَتْ تُرِيدُ قهوتها أَم تَرْغَب فِي التَّغْيِير ؟ سَأَلْتنِي أَنْ كُنْت أَرْغَبُ فِي اِحْتِسَاء شَيْءٌ واتفقنا عَلَى أَنَّهَا ستطلب لِي مِثْلَهَا فَوَافَقَت .

عُدْنَا لصمتنا لَكِنِّي لَمْ أَقْوَى عَلَى الصَّبْرِ أَكْثَر فَانْدَفَعَت سائلاً :

-محتاجاني لَيَّه يَا أَصَالَة ؟

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ سُؤَالِي سيصدمها وَيَجْعَلُهَا تخجل ، لَكِنْ لَمْ أَتَوَقَّع أَنَّ الْأَمْرَ أَكْبَرُ مِنْ مُجَرَّدِ خَجِل وَضِيق !

التَّفَتُّت إِلَيّ تحملق فِي برعب وشعرت بالرجفة الَّتِي اِحْتَلْت جَسَدِهَا ، فَتِلْك الْيَدِ الَّتِي أُغْلِقَت قَبَضَتْهَا عَلَى يَدِ الْمَقْعَد الخشبي بِقُوَّة كَانَت ترتجف بِشِدَّة ، لَاحَظَت أَنَّ لَوْنَ وَجْهِهَا شَحَب بَعْد سُؤَالِي ، وَكَأن دِمَائِهَا هَرَبَت لتختبئ مِنْ الْمُوَاجَهَةِ . . .

انْتَظَرَتْهَا تَتَحَدّث وَلَوْلَا أَنَّهَا نَطَقَت لَكُنْت أَقْسَمَ أَنْ أَنْفَاسُهَا انْقَطَعَت ؛ فَلَم تَتَنَفَّس إِلَّا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا الْأَحْرُف مبعثرة لَتَسْأَلُنِي :

-ح . . حضررتك تُقْصَد أ آيَه؟

--ممكن بِس تَهْدِي أولاً !

ثانياً بِلاش حَضَرَتْك إِحَنَّا مَش فِي الشُّغْلِ دلوقتي . . .

-تقصد آيَه بِسُؤَالِك ؟

أخدت نفساً عميقاً وَسَأَلَتْهَا وَأَنَا أُرَاقِب إنفعالاتها :

-أنا وَاَللهِ مَا كنتش اقْصِد أبص فِي تليفونك ، بِس لُفَّت انتباهي صُورَتَي عَلَى شاشَة تليفونك فركزت . . فَأَنَا عائِز أَفْهَم الشات اللَّيّ بَيْنِي وَبَيْنَك دَه أزاي وأحنا عُمْرِنَا مَا اتكلمنا ؟ وَلِيُّه محتاجالي يَا أَصَالَة ؟

لَمَعَت بِعَيْنَيْهَا دُمُوع سَرِيعَة جَعَلْتنِي أُكْرِه تسرعي ، أَبْعَدَت بَصَرِهَا عَنِّي وضغطت بِأَسْنَانِهَا عَلَى شَفَتِهَا السُّفْلَى ، وَكَأَنَّهَا تَرْغَب فِي مَنْعِ دُمُوعُهَا وبكاءها مِن الانهمار أَكْثَر . . .

-أصالة مُمْكِنٌ تَهْدِي طَيَّب ونتفاهم .

نَظَرْت إلَيّ نَظَرِه لَن أنساها فَقَد فُهِمَت نَظَرْتُهَا لأَوَّلِ مَرَّةٍ . كَانَت نَظَرْتُهَا تَلُومُنِي بِقُوَّة ، شَعَرْت بِالْخِزْي مِن عَتَّاب عَيْنَاهَا لِي وَقَبْلَ أَنْ اعْتَذَر أَخَذَت حقيبتها وَوَقَفْت لِتَرْحَل مِنْ أَمَامِي . . .

ولأَوَّلِ مَرَّةٍ أَتَخَلَّى عَنْ كبريائي وأهرول خَلْف أُنْثَى وَامْنَعْهَا مِن الإبْتِعَاد . .

بَعْد محاولات عَدِيدَة كَلَّفْتَنِي الْكَثِيرِ مِنْ الِاعْتِذَارِ وَالْقَلَق الزَّائِد عُدْنَا لِلْمَقْعَد ولدموعها الَّتِي لَمْ تَتَوَقَّفْ .

-أصالة فهميني أرجوكي دَه حَقِّي إنِّي أَفْهَم . . . وصدقيني أياً كَانَ الْمَوْضُوعُ أَنَا هتفهم .

نَظَرْت إلَيّ وظلت نَظَرْتُهَا الْقَاسِيَة تعاتبني بِصَمْت يَقْتُلْنِي ووجدتني لَا إرادياً أَخْبَرَهَا :

-أصالة أَنَا معاكي . . ماتخافيش ، أَنَا سامعك وهتفهمك .

أغمضت جَفْنَيْهَا بِقُوَّة بَعْد جُمْلَتَي تِلْك وَاِتّخَذ بُكَاءَهَا طريقاً مليئاً بِالدُّمُوع الْغَزِيرَة ، والشهقات الَّتِي تُحَاوِل كِتْمَانُهَا بِكَفّ يَدِهَا المرتجف .

لَمْ أَكُنْ مطمئناً أبداً ، بُكَاءَهَا أَهْلِك ثَباتِي الانفعالي ، الْمَوْقِف يَزْدَاد تعقيداً فتوسلت :

-أصالة أرجوكي أُهْدِي أَنَا معاكي وسامعك احكيلي .

انْدَفَعَت :

-ماتقولش كَدِّه أَرْجُوك ، ماتقولش أَنَا معاكي وسامعك ، أَنْت مَش حَقِيقِيٌّ ، أَنَا مَش صاحية ، أَنَا بِتَوَهُّم . . كُلّ دَه وَهُم وَأَنَا بِس اللَّيّ مصدقاه . .

-2

أَنَا أَكْرَهُ الرّجَال أَتَعَلَّم ذَلِك ؟

نَعَم اكرههم وَأَكْرَه كَم أَنَّهُم مُتشابهون ، خَاصَّةً فِي طَرِيقِة تفكيرهم . . نَعَم لِكُلٍّ مِنْهُمْ أُسْلُوب مُبْتَكَر لَكِنْ فِي النِّهَايَةِ جَمِيعِهِمْ مِنْ نَفْسِ الْقَالِب وَالتَّكْوِين الفِكْرِيّ وَاحِدٍ لَا يتغير . .

إلَى الْآنَ أَحْيَا 24 عاماً لَمْ أَجِدْ مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلَنِي أتخطى خَوْفِي ونفوري مِنْهُم ، أَصْبَحْت واحداً مِنْهُم لأستطيع التَّعَامُل مَعَهُمْ فِي عَمَلِي ودراستي ، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إلَيَّ واحداً مِنْهُم بِنَظَرِه يُخْبِرُنِي بِهَا كَمْ هُوَ مُعْجَبٌ !

أَوْ أَنَّ يَتَفَوَّهَ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِكَلِمَتَيْن ساحرتين يخطفن قُلُوب الْمُرَاهِقَات . . أَنَا أيضاً أَكْرَه الْمُرَاهِقَات .

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ الْعَامّ الَّذِي كُنْت أَكْتُبُ أرقامه الْأَرْبَعَةِ عَلَى حَائِطِ غُرْفَتِي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ ، كُنْت أحقق حِلْمِي الَّذِي كُنْت أَكْتُبُ لِأَجْلِه تِلْك الأرْقَام لتذكرني بموعدي لِتَحْقِيقِه . . . وَهَا نَحْنُ أَتَيْنَا لِعَام 2018 وَهَا هِيَ أَوَّلُ خَطَؤُه لحلمي فِي جَعْلِ تصميماتي تعتلي أَجْسَاد بَعْض الْفَتَيَات . . . أَصْبَح لتصميماتي اسْم وأتيليه أَسْفَل أَوْرَاق مِلْكِيَّتَه أمضتي .

كَانَ قَدْ تَبْقَى شَيْءٌ أَخِير لَأَفْعَلُه ، وَهُوَ إنْشَاءُ دعاية لِمَا أَفْعَل وَهَذَا مَا أَنَا ذَاهِبَةٌ لِأَجْلِه لِشَرِكَة الدِّعَايَة الَّتِي عَرَفْتَنِي بِهَا صديقتي .

فَوْر دُخُولِي رَأَيْت الْكَثِيرِ مِنْ الْبَشَرِ . . . نَعَمْ كَمَا تَرَدَّد دَاخِلٌ عَقْلِك الْآن أَنَا أَكْرَهُ الْبَشَر أيضاً ، لِذَلِك اِعْتَلَّت ملامحي نَظَرِة الْمِلَل ونفاذ الصَّبْر .

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ لِأَيِّ مَكْتَب مِن المتراصين اذْهَب ، حَتَّى نادني أَحَدُ أَصْحَابِ الحلات الرمادية وَالشَّعْر الْأَسْوَد المنمق وَالْأَعْيُن العسلية الباسمة ! نَظَرْت لَهُ بِصَمْت لَمْ أَفْهَمْ لِمَا يناديني ، سَأَلَنِي وَلَا يأبه لِلْأَشْخَاص الْكَثِيرُون أمَام مَكْتَبِه :

-اتفضلي حَضَرَتْك عايزة آيَه ؟

--كنت عايزة أُسْتَاذ مَاهِرٌ سَعِيد الاقيه فِين ؟

لَا أَفْهَمُ كَيْف لتعابير وَجْه شَخْصٌ تَكُونُ بِهَذَا الثَّبَات وَعَيْنَاه مبتسمة ؟ سَأَل بلهفة تَعَجَّبْت لَهَا :

-حضرتك تقربيله ؟

--لا أَنَا جاياله مِنْ طَرَفِ حَدّ ، هُو فِين ؟

-طيب هُوَ غَايِبٌ النهاردة ، حَضَرَتْك مُمْكِنٌ ترتاحي دَقِيقَةٌ بِس هُنَا وَأَنَا هعمل لِحَضْرَتِك اللَّيّ عايزاه .

لَا إرادياً نَظَرْت لِلْوَاقِفِين أمَامِه ، فعددهم كَثِير حقاً هَل سأنتظر كُلُّ هَؤُلاَءِ ؟

نَظَرْت حَوْلِي وتساءلت دَاخِلِيّ "أين انْتَظَر ؟ أَلَا يُرَى أَنَّ الْمَكَانَ صغيراً وَلَا يُوجَدُ أَمَاكِن فَارِغَة لِلِانْتِظَار ؟ "

اسْتَسْلَمَت لِرَغْبَتِه وَوَقَفْت أمَامِهِ عَلَى بُعْدٍ خُطُوَات ، كَان لَدَيّ مَوْعِد هَام يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إلَيْهِ ، وزملائي يراسلونني فأتحدث إلَيْهِمْ عَلَى تَطْبِيقِ الواتساب ، وَانْظُر بالصدفة لَأَرَى كَم تَبْقَى لَأَجِدُه يَعْمَل وَيَنْظُر إلَيّ ولازالت عَيْنَاه تبتسم !

كَانَت نظرته تَعَكَّر صَفْو يُومِي حِينِهَا ، فَأنَّا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ تَحْت الأَنْظَار هَكَذَا ، وَمُنْذ وقفتي لَمْ تُصَادِفْ عَيْنِي مَكْتَبِه إلَّا وَاحِدِه يَعْمَل بِسُرْعَة وَيَنْظُر إلَيّ ، بَقِيَت مُنْتَظِرَة أَكْثَرَ مِنْ 10 دَقَائِق وخلالهم قَالَ لِي أَكْثَرَ مِنْ 5 مَرَّات "دقايق وَأَفْضَى وَأَكُون معاكي أَهُو وأخلصلك اللَّيّ حَضَرَتْك عايزاه"

أَتَتْنِي رِسَالَة جَعَلْتنِي انْتَبَه للهاتف لَأَجِد صَوْتَه يَأْتِيَ إلَيَّ لَيُخْبِرَنِّي بِأَنَّه هَا هُوَ مَعِي الْآن ، أُغْلِقَت الْهَاتِف وَتَوَجَّهَتْ إلَيْهِ لَأَخْبَرَه بِمَا أَرْغَبُ فِي فِعْلِهِ لَأَجِدُه يَنْظُر حَوْلَه بتفكير ، وَقَف وَأَخَذ الْإِذْنَ مِنِّي ليغيب عَنِّي لبرهة ، وَبَعْد ثوانٍ قَلِيلِه أَتَانِي بَاسِمًا :

-أتفضلي معايا أُدْخُلِي أرتاحي فِي مَكْتَبِ الْمُدير لِحَدّ مَا أُجِيبَ لِحَضْرَتِك اللَّيّ هتخلصلك الشُّغْل لِحَدّ عِنْدَك .

هُنَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَزُور قَلْبِي التَّوَتُّر ، لِمَا كُلُّ هَذَا الإِهْتِمامِ ؟ هَل يُحِبّ زَمِيلَهُ فِي الْعَمَلِ لِتِلْك الدَّرَجَة ؟ قادني إلَى الْمَكْتَبِ وَأَصَرّ أَن أَحْتَسِي مَشْرُوب بَارِد عَلَى حِسَابِه ، رَغِم رفضي الشَّدِيد أَتَى بِهِ إلَيَّ وكأنني أَهَمّ عملاء شَرِكَتُهُم مِمَّا جَعَلَنِي أَتَعْجَب أَكْثَر .

دَقَائِق وأتتني زميلته لتتناقش مَعِي فِي الْعَمَلِ وترحب بِي بِقُوَّة ، ذَلِكَ الْيَوْمِ رَأَيْت اهْتِمَامًا جَعَلَنِي لَا أَفْهَمُ هَلْ كُلُّ شَرِكات الدِّعَايَة تَهْتَمّ بعملائها هَكَذَا ؟ أُمِّ أَنَّ عَمَلِي مُمَيّز لِتِلْك الدَّرَجَة ؟ ؟ !

قَبْل خُرُوجِي مِنْ الشَّرِكَةِ ذَهَبَت لِشُكْرِه وَأَخْبَرَه بِأَنِّي سأتي لمناقشة التَّفَاصِيل خِلَال يَوْمَيْن وأيضاً لِسَبَب آخَر ، فقد أَرَدْت أَنْ أَعْلَمَ اسْمُه الْمَكْتُوبِ عَلَى شَارَة مَكْتَبِه الخَشَبِيَّة . . .مهَابّ حَسَنٌ مهَابّ . .

هَكَذَا كَانَ اسْمُهُ ، وَهَكَذَا يُومِي الْأَوَّلُ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُ . . .

فَوْر دُخُولِي الْمَنْزِل وَتَغْيِير ملابسي لِأَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ الذَّهَابُ إلَى الْمَوْعِدِ بتأخيري ، وُجِدَت هَاتِفٌ الْمَنْزِل يُعْلِن عَنِ اتِّصَالٍ وَارِدٌ ، وَعِنْد سُؤَالِي مِنْ الْمُتَّصِلِ وَجَدْته هُوَ ذَلِكَ المهاب صَاحِب الْأَعْيُن الباسمة !

سَأَلَنِي :

-حضرتك ناقشتي تَفَاصِيل المحتوى مَع الْمَسْؤُول ؟

كِدْتُ أَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّنِي أَخْبَرَتْه بِمَوْعِد قُدُومِي لِفِعْلِ ذَلِكَ لَكِنَّنِي انْتَبَهَت لِشَيْءٍ آخَرَ ، كَيْف أَنَّه عَمَلِهِ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى سأتي لِلْمُنَاقَشَة ؟ هُنَا شَعَرْت بِحُجَّة لِأَمْرٍ مَا وَهَذَا أَرْبَكَنِي .

انْتَهَت الْمُكَالَمَة وَلَم أُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ مِمَّا قَالَتْه أُمِّي حِينِهَا

"شكله بيتأكد مِن رقم التليفون ، الْوَلَد دَه شَكْلِه مُعْجَبٌ بيكي"

أَنَّا لَا أُومِنُ بِمَا قَالَتْه أُمِّي؛ فَأُمّي تَرَى أَنَّ أَيَّ شَخْصٍ يَتَنَفَّس بقربي مُتَيَّمٌ بِي ، مَرّ يَوْمَيْن وَذَهَبَت إلَيّ الشَّرِكَة مجدداً لَمْ يَكُنْ فِي استقبالي وَلَا أَعْلَمُ رَغِم ارتياحي لِمَاذا تَعَكَّر صَفْو مِزاجِي لِعَدَمِ وُجُودِهِ ؟، تَعَامَل أَصْدِقائِه مَعِي كأي شَخْصٌ عَادِيٌّ يَأْتِي للتعاقد مَع شَرِكَتُهُم مِمَّا جَعَلَنِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أُفَكِّرُ فِي طَرِيقَتِهِ الْمُخْتَلِفَة .

سَعِدْت لِأَخْبَارِهِم لِي بِأَنِّي سأتي بَعْد يَوْمَان مجدداً وَبِالْفِعْل ذَهَبَت ، كُنْت متحمسة لِإِتْمَام مشروعي وَخُرُوجِه لِلنُّور ، لَكِنْ دَاخِلِيّ تساؤلات ترْغَبُ فِي إجَابَة بِزِيَارَة ثَانِيَة يُرَاقِب فِيهَا أَفْعَالِه هَذِهِ الْمَرَّةِ بِدِقَّة .

اسْتَقْبَلَتْنِي عَيْنَاه الَّتِي كَانَتْ مُنْذُ ثوانٍ أَعْيُن عَادِيَة لَهَا بَصَر وَجُفُون ، وترمش عِدَّة مَرَّاتٍ فِي الدَّقِيقَة الْوَاحِدَة . وَبَعْد تُلْقِيه نظرتي تَحَوَّلَت لِأَعْيُن بِاسْمِه وَهَذِه الْمَرَّة لَمْ تَكُنْ عَيْنَاه وَحْدَهَا تبتسم ، فلاحظت أَنَّ هُنَاكَ شفتان يستطيعان الِابْتِسَام وَالْحَدِيثُ فِي أَنَّ وَاحِد .

رَحَّب بِي مبتسمًا ، وصَفَ لِي طَرِيق الْمَكْتَب الَّذِي مِنْ الْمُفْتَرِض أَتْمِم عَمَلِي لَدَيْه ، وَبَعْد وُصُولِي تفاجأت بِه خَلْفِي مباشرةً وَهُنَا صادفني فَارَق الطُّول بَيْنَنَا، ليخجلني وَيُجْعَل كبريائي يَخْتَبِئ فِي نظرتي الَّتِي تَتَعَرَّفْ إِلَى أَرْضِيَّةُ الْمَكْتَب فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، ظَنَنْت أَنَّهُ سَيَدْخُلُ لِيَقُوم بِعَمَلِ شَيْءٍ مَا لَكِنَّه ظِلّ واقفاً بِالْخَارِج وَلَا أَفْهَم مَاذَا يَفْعَلُ ؟

دَخَلَت وَتَحَدَّثَت بارتباكي وَأَتْمَمْت عَمَلِي لتتبقى آخَر خَطَوُه الَّتِى سَيَقُوم هُوَ بِهَا ، وَقَبْل ذَهَابِي إِلَيْهِ كَانَ قَدْ عَادَ إِلَى مَكْتَبِه . . . . لَا أَعْلَمُ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَجْعَلَنِي بِهَذَا الهُدوء والخَجَل عَلَى غَيْر عَادَتِي مَعَ مَنْ أتعامل مَعَهُمْ مِنْ الرِّجَالِ ، فَأَنَا تِلْك العنيدة البلطجية ، صَاحِبِه الْوَجْه الأنثوي والشخصية الْقَوِيَّة !

لَمْ يَتْرُكْنِي أَرْحَل ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ حُلْمِي ؟ وَمَن مَثْلِي الْأَعْلَى وَمَصْدَر إلهامي ؟ وَمَتَى الِافْتِتَاح ؟ وَكَثِيرٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَحَبَّ الْحَدِيثَ عَنْها مَعَ مَنْ يَهْتَمّ لِسَمَاعِهَا !

رَحَلْت وَلَم يَرْحَل عَن تَفْكِيري ليومان ، كُنْت فِي حِيْرَةٍ وَلَا أَفْهَم أَيّ شَيْءٍ ، انْتَظَرَت أَن أتأكد إنْ كَانَتْ وِجْهَةَ نَظَر وَالِدَتِي صَحِيحَةٌ أَمْ مَاذَا لَكِنْ لَا شَيْءَ . .

إذاً انْتَهَى التَّفْكِير ، وألهتني الْحَيَاةِ فِي ضغوطها الْجَدِيدَة ، مَرَّت الشُّهُور المؤلمة وَالَّتِي تَزِيد آلامها وَحْدَتِي ، واستيقظت مِنْ نَوْمِي عَلَى صَوْتِهِ وَحَدِيثُه وَرُؤْيَة فجرية جَعَلْتنِي أتذكره ، مَا الَّذِي أَتَى بِذَلِكَ المهاب إِلَى أَحْلاَمِي الْآن ؟

كَانَ قَدْ اشْتَرَى لِي عُلْبَة أَلْوَان جَمِيلَة أَخْبَرَنِي فِي حِلْمِي أَنَّهَا تِلْك الَّتِى أبْحَث عَنْهَا ، وَلَا أَجِدُهَا فِي أَيِّ مَكَان وَهُوَ الَّذِي بَحَثَ عَنْهَا حَتَّى وَجَدَهَا لِي ، كَانَ يَتَحَدَّثُ فِي حِلْمِي بلهفة وسعادة طِفْل يَرْغَبُ فِي إِسْعَاد وَالِدَتَه بِشَيْء كَانَت تَرْغَبُ فِيهِ . . . أَخْبَرَنِي فِي رؤيتي قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ بِأَنَّه يَبْحَثُ عَنْ أُخْرَى أَجْمَل مِنْهَا وَسَيَأْتِي بِهَا لِي أيضاً، لَكِنْ عَلِيٌّ أَنْ انْتَظَرَ لِبَعْض الْوَقْت وَحِينَمَا يَأْتِي بِهَا سيحادث وَالِدَتِي لتجعلني أَتَى لِأَخْذِهِم . . .

انْتَهَت الرُّؤْيَة وَأُخِذَتْ مِنْ تَفْكِيرِي الْكَثِير لَكِنَّنِي لَم اِهْتَمّ بِتَفْسِيرِهَا ، فَقَط شَعَرْت أَنَّنِي أَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ مَنْ هَذَا الشَّخْصِ . . فِي تِلْكَ الْفَتْرَةدقَدْ تَقَدَّمَ لخطبتي شَخْصَيْن ، لَا أَعْلَمُ رَغِم حَيْرَتِي فِي أَمْرِهِمَا لَمَّا لَمْ أُعْطِي اهْتِمَامًا كبيراً لَهُمَا ، بَلْ كُنْت اِبْحَثْ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ عَلَى تَطْبِيق فيس بوك ليجمعني بمهاب وَلَمْ أَجِدْ أَيِّ شَيْءٍ . . حِينِهَا قَرَّرْتَ أَنَّ أَغْلَق تِلْك الصَّفْحَةُ مِنْ دَاخِلِيّ وَأَرَى مَا الَّذِي يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ مُسْتَقْبِلِي ، أَخْبَرَتْنِي صديقتي بِصَلَاة الِاسْتِخَارَة لأصليها لتساعدني فِي اخْتِيَارِ أَحَد العريسين، وَبَعْد أَيَّامٍ مِنْ صَلَاتِي كَانَ كِلَا الْمَوْضُوعَيْن قَد أُغْلِقَا وشعرت بِارْتِيَاح كَبِيرٌ .

مَرَّت الشُّهُور لَأَجِد أخيرًا مَا يُوصِلَنِي بمهاب ، فَقَد أَعْجَب بِصَفْحَتَي الرَّسْمِيَّة لمشروعي الْجَدِيد ، وَلَمْ يَكُنْ اسْمُهُ وَصُورَتُه بِالشَّيْء الْخَفِيّ الَّذِي لَا يَجْعَلَنِي انْتَبَه إِلَى أَنْ هَذَا هُوَ الْغَامِض صَاحِب الْأَعْيُن الباسمة !

كَانَتْ لَيْلَةُ حَافِلَة بالتفاصيل الَّتِى اسْتَطَعْت مَعْرِفَتِهَا عَنْه ، فَقَدْ عَلِمْت دِرَاسَتِه وَعمره ، وَمَا يُعْجِبُه ، وَبَعْض التوقعات عَن شَخْصِيَّتُه مِن مُحْتَوَى منشوراته عَلَى فيس بوك ، كَمَا أَنِّي عَلِمْت أَنَّ وَالِدَتَه متوفية مُنْذُ صِغَرِهِ وَوَالِدِه مُسَافِرًا وَيَعِيش مَهَابّ وحيداً وَسَط الْكَثِيرِ مِنْ الْأَصْدِقَاء . .

كَانَت تَفَاصِيلَه لَا تَشْغَلْنِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ، فَقَط فُضُولِيٌّ مِن جَعَلَنِي أتساءل عَنْه ، لِلْمَرَّة الثَّانِيَة لِظُهُوره يَضَعَنِي الْقَدْر فِي اتِّخَاذِ قَرَارٍ بِالْمُوَافَقَةِ أَوْ

الرَّفْض عَلَى عَرِيس مَا ، فَأَنْسَى مَا كُنْت أُفَكِّرُ فِيه وَأَصُبّ تركيزي عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي حتماً أَصَابَه الْجُنُون لِيَتَقَدَّم إِلَيّ ، وَهَذِه الْمَرَّة كَانَ الْأَمْرُ هَامًا بِالنِّسْبَة لِي ؛ فَقَدْ كَانَ صَدِيقِي فِي الْعَمَلِ هُوَ ذَلِكَ الْمَجْنُون .

أَخَذْنَا وَقْت كَافِي لِلتَّعَارُّف، وَأُخِذَت وَقْت طَوِيلٌ لأقرر مَا أَرْغَب فِيه تُجَاهَه ، حقًا كُنْت عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ أَنَّ أُغِيرَ وَجْهَه نَظَرِيٌّ تُجَاه كَافَّة الرِّجَال بِسَبَبِه ، فَلَم أَرَى فِي لَطَافَتِه ، وَرُوحِه المرحة ، وَأُسْلُوبِه الجذاب ، فَقَرَرْت بِكَامِل إرادتي أَنْ أُصَلِّيَ صَلَاةَ اسْتِخَارَة قَبْلَ أَنْ أَبَدِي رَأْيِي لِأَهْلِي وَلَه وَكَانَت مُفَاجَأَة لِي بِأَنْ اسْتَيْقَظ فَزَعُه وَقْتِ صَلَاةِ الْفَجْرِ . . .

لَمْ يَكُنْ كابوساً ، وَلَمْ تَكُنْ رُؤْيَةً منفرة ! بَلْ كَانَ أَمَرَ أَصَابَنِي بِالدَّهْشَة ، لَقَدْ أَتَانِي مُهَابّ وَوَالِدَتِه فِي مَنَامِي . . لَيْسَت مُشْكِلَةٌ أَنْ يَأْتِيَ مُهَابّ إِلَى مَنَامِي لِلْمَرَّة الثَّانِيَة . . دُونَ أَنْ أُفَكِّر فِيه ، لَكِنَّ الْأَمْرَ الكارثي أَنِّي أَتَذْكُر مَلامِح وَحَدِيث وَالِدَتَه الْمُتَوَفَّاة جيداً وأنا لَمْ أَرَاهَا مِنْ قِبَلِ ! !

لَقَدْ كَانَتْ تَعْتَذِر لِي عَنْ تَأْخِيرُه وتخبرني أَنَّهُم سيأتون قريباً لخطبتي ، وَأَتَت بِهِ إِلَيَّ وَمَعَهُمَا كَثِيرٍ مِنْ الْمَأْكُولَاتِ ، وَالْفَاكِهَة ، والشوكولاتة ، والمخبوزات الطازجة !

لَمْ أَسْتَطِعْ النَّوْم لَيْلَتِهَا ، وَلَم أَسْتَطِع الْإِجَابَة عَلَى صَدِيقِي العَرِيس وَلَا أَهْلِي وَأَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ هُوَ الْبَحْثُ المكثف عَنْ مَعْنَى الرُّؤْيَة الَّتِى أَتَتْنِي ، ليفاجئني تَفْسِيرِهَا بِأَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ الشَّخْص المتوفي فِي الْمَنَامِ لِصَاحِب الرُّؤْيَةِ هُوَ أَمَّا شَيْءٌ يُبَشِّرُه أَو يُحَذِّرُه بِحُدُوثِه !

كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا أَتَتْنِي بِهِ مِنْ هَدَايَا هِي خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ آتِيه مِنْهَا وَمِنْ وَلَدِهَا !

جَعَلْتنِي تِلْكَ الرُّؤْيَةُ أَتَذْكُر حِلْمِي الْأَوَّل بمهاب فَقَرَرْت الْبَحْثِ عَنْ تَفْسِيرِهِ ليفاجئني أَكْثَر . . . فَقَدْ كَانَ يُبَشِّرُنِي بِأَنَّ مَا أَبْحَث عَنْه طِوَال حَيَاتِي يُوجَد لَدَى مُهَابّ وَلَكِن عَلِيّ الِانْتِظَار لأحصل عَلَيْه !

مَا الَّذِي يَحْدُثُ ؟ أَنَّا لَا أَفْهَمُ حقاً وَأَصْبَح عَقْلِيٌّ مشتت لِمَا رَأَيْته ، قَرَّرْتَ أَنَّ أبوح بِكُلِّ ذَلِكَ لِأَحَدِهِم فَتَحَدَّثَت لصديقتي وشقيقتي وَلِكُلّ مِنْهُنّ رَدَّه فَعَل مُخْتَلِفَةٌ

كَانَت صديقتي تتعجب مِثْلِي وتصدقني وتحاول تَحْلِيلَ مَا يَحْدُثُ مَعِي ، أَمَّا شقيقتي فَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرُ الْهُجُوم وَجُمْلَة جَعَلْتنِي أتناسى مَا يَحْدُثُ بإرادتي ، وَأُعْطِي فِرْصَة أَكْبَر لِصَدِيقِي

" لَوْ كَانَ فِي حَاجَة مِنْ اللَّيّ أنتي شايفاها دِي صَحّ وَفِعْلًا فِي مَشَاعِر وَتَفْكِير تُجَاهك ، ماكنش هينتظر كُلّ الشُّهُور دِي ، هُمَا كَدِّه مُوَظَّفِين الشَّرِكَات بياعين كَلَام وأسلوب حُلْوٌ فماتتوهميش وشوفي حياتك"

كَانَت فَتْرَة مَلِيئَة بِأَلْوان الحَياةُ الأُخْرَى الَّتِي لَمْ أَرَاهَا مِنْ قِبَلِ ، قَد جَعَلَنِي لَا أَنْدَمَ عَلَى إعطائي فِرْصَة لَه ، كَانَ يَسْتَطِيعُ مواساتي ، وسماعي . . يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ فَهْمِي دُون التَّفَوُّه بِكَلِمَة ، جَعَلَنِي أَرَى الْحَيَاةُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى أَنْسَتْنِي أَيّ شَيْءٍ آخَرُ غَيْرِ كَوْنِي مَعَه . . حَتَّى اهتمامي بحلمي ! ! انْسانِيٌّ مَا كُنْت أَفْعَلْه لِأَجْلِه . .

فَسَدَت الْكَثِيرِ مِنْ الْأَشْيَاءِ وَأَنَا مُخَدَّرَة عَنْ الْوَاقِعِ فَقَطْ أُفَكِّر بموافقتي عَلَى عَرْضِهِ بِالزَّوَاج مِنْه ، حَتَّى بَدَأَت الْمَشَاكِل الَّتِي مِنْ الْمُتَوَقَّع أَنْ لَا تَخْلُو أَي عِلاقَة مِنْهَا ، وَأَتَى الْمَوْعِد لِأَنّ أَقُول . . . أَنَا مُوَافَقَة وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي قَرَّرْت الْمُوَافَقَة فِيه . .

كُنْت أَنْظَف شقتنا وَإِذَا بمهاب أَمَامِي يَتَحَدَّثُ إِلَى وَالِدَتِي وَيَنْظُر إِلَيّ !

-3

نظرته لَمْ تَخْتَلِفْ عَنْ أَوَّلِ لِقَاءٍ بَيْنَنَا ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ هَيْئَتِه الْأَنِيقَة أيضاً ، سَمِعْتُه يُخْبِر وَالِدَتِي بإنجازاته ، وممتلكاته وَلَمْ أَكُنْ افْهَمْ مَا الْمُفِيدِ مِنْ ذَلِكَ التَّكَبُّر وَالتَّفَاخُر ، حَتّى قَالَتْ لَهُ وَالِدَتِي أَنَّه يوماً مَا سيرزقني اللَّهُ بِمَن لَدَيْهِ الْأَفْضَل . . أحرجتني كَلِمَاتِهَا وَنَظَرْت لَهَا بِلَوْم وَأَنَا أَكْمَل تَنْظِيف الشُّقَّة وَلَكِنْ مَا أَذْهَلَنِي هُو انْفِعالِه وَانْدِفَاعُ قَوْلِهِ

"وأنا مَا أنسبهاش لَيَّه ؟ أَنَا هقدر أقدملها كُلّ اللَّيّ هِي محتاجاله"

صدمتني جُمْلَتِه لَكِنَّ وَالِدِي ضَحِك !

أَخَذ اشيائه وأرتدى حِذَائِه، وَقَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمِّي بِأَنْ يَجْلِسَ مَعَنَا لِتَنَاوُل الْغَدَاء وَرَفَض قائلاً : مَش الْمَرَّة دِي ، أَنَا كَدِّه كَدِّه جايلكم تَانِّي

بَعْد جُمْلَتِه الْأَخِيرَة وابتسامته لِي اسْتَيْقَظَت مِنْ نَوْمِي أضغط بِأَصَابِعِي عَلَى جَبِينِي أُحَاوِل تهدئته مِنْ الصُّدَاعِ الْقَوِيُّ الَّذِي اِنْتابَه فَوْر استيقاظي . . مَرّ عَام كَامِلٌ عَلَى لِقَاءِ غَيْرُ مَحْسُوبٍ كَحَدَث هَام وَمَازَال هَذَا الشَّخْصِ يطاردني فِي مَنَامِي .

أَرْهَقَتْنِي زياراته الْمُتَكَرِّرَة لنومي ، وأتعبتني مَوَاعِيدُهَا . فدائماً مَا يَكُونُ وقتاً غَيْرُ مُنَاسِبٍ بتاتاً . . . لَمْ أَقْدِرْ حِينِهَا عَلَى إبْعَاد عَقْلِيٌّ عَن التَّفْكِيرُ فِي الْأَمْرِ ، لِمَا يَأْتِينِي كُلَّمَا قَرَّرْت التَّفْكِيرُ فِي الزَّوَاجِ ؟

لِمَا كُلَّمَا تَخْطيتِه أَتَانِي ليذكرني بِه ؟

تساءلت ، مَا الَّذِي يُؤَوَّلُ إلَيْهِ التَّفْسِير لِهَذِه الرُّؤْيَة هَذِهِ الْمَرَّةِ ؟

وَلَمْ تَخْتَلِفْ كثيراً عَنْ مَا قَبْلَهَا ، يَجِبُ أَنْ انْتَظَرَ فَهَذَا الشَّخْص لَدَيْه مَا انْتَظَرَه وَهُوَ الشَّخْصُ الَّذِي أبْحَث عَنْه وَسَيَأْتِي !

حقاً ! يَأْتِي ؟ كَيْف وَمَتَى ؟ لَقَدْ مَرّ عَام صَامَت . . عَام انْقَضَى وَأَنَا لَا اتذكره إلَّا لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرُنِي بِهِ فِي مَنَامِي وَيَقْلِب مَوَازِين قراراتي وَحَيَاتِي . . . ومشاعري .

هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ تَكُنْ وَحْدَهَا رُؤْيَاي مِن تُسَيْطِرُ عَلَى مشاعري ، هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً ، فَقَد وضعني الْقَدْرِ فِي طَرِيقِهِ مجدداً دُونَ أَنْ أخطط لِذَلِك . . . فَقَدْ كَانَ الْعَمَلُ فِي حَالَةِ مِنْ الرُّكُود . . . تَعَرَّضَت لخسارة كَبِيرَة خَارِجَةٌ عَنْ إرادتي ، فَقدتُ شَغَفِي حِينِهَا ويأست ، أَصَابَنِي الْإِحْبَاط الشَّدِيد وَتَوَقَّفَت لِوَقْت طَوِيلٌ عَنِ العَمَلِ ، فَلَا أَمْلِك أَي أَمْوَال أَسْتَطِيع بِهَا سَدَاد دِينِي وَالْعَمَلُ عَلَى تَصَامِيم جَدِيدَة وَإِنْشَاء دعاية جَدِيدَة . .

لَكِنْ أَرَادَ اللَّهُ شيئاً آخَر . .

أَتَتْنِي صديقتي ميادة متحمسة :

-أنا قَبَضْت الْجَمْعِيَّة هنزل أَنَا أَشْتَرِي الخامات وأنتي أجهزي علشان تَرُوحِي تعمللنا الدِّعَايَة الْجَدِيدَة . .

وحدث بيننا نَقّاش طَوِيلٌ ، لَمْ أَكُنْ متحمسة . . لِأَيِّ شَيْءٍ .

كُنْت خائفة ، خائفة مِن انْتِظَارِي لِشَيْءٍ مِنْهُ يأكد لِي مَا أَرَاهُ وَمَا انْتَظَرَه . .

حمستني ميادة لِلذَّهَاب ، فَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا اللِّقَاء الحاسِم . . أتساءل دَاخِلِيّ ، حَاسِم لِمَا ؟ أَنَّا لَا أَعْرِفُ هَذَا الشَّخْصِ وَهُوَ لَا يعرفني ، كُلُّ مَا أَرَاهُ مِنْ أَحْلَام هِيَ فِعْلُ خَيَّالِيٌّ مِنْ الْمُؤَكَّدِ ، وَطَرِيقَتِه وَحَدِيثُه اللَّطِيف مَعِي مَا إلَّا طَرِيقَةُ لِجَذْب عملاء لشركتهم لَيْسَ إلَّا ، هَكَذَا تَقُول شقيقتي وَأَنَا أَصْدَق . .

لَنْ أَكْذِبَ فَأَنَا دَاخِلِيّ لَا يُصَدَّقُ إلَّا مَا رَآهُ وَشَعْر بِه ، أَنَا أَثِق فِي رَسَائِل اللَّهُ لِي . . مَا مِنْ رُؤْيَةِ وردتني إلَّا وَكَانَ تَفْسِيرهَا حَاتِم وَوَاقِعٌ مَلْمُوسٌ حييته . . تَكْرَار رُؤْيَتِهِ فِي مَنَامِي لَيْس خَيَالا ، وَمَن الْمُؤَكَّد لَيْسَت صَدَفَة هَذِهِ عَلَامَةٌ لِشَيْء قَادِم لَا أَعْلَمُ مَتَى وَكَيْف لَكِن أَثِق بِقُدُومِه . .

كُنْت متوترة بِشِدَّة عِنْدَمَا خَطَوْت أَوْلَى خطواتي دَاخِلٌ الْمَكَان ، أَلَمْ أَقُلْ أيضًا أَن مشاعري أَصْبَح لَهَا دوراً جديداً ؟ كَانَ هَذَا الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِخَوْض مشاعري هَذَا التَّحَدِّي مَعِي ، لَا أَعْلَمُ مَا حَدَثَ لِي عِنْدَمَا رَأَيْته هَذِهِ الْمَرَّةِ ، ابتسامته ونظرته المتحدثة لَم يُضَاف لَهُمَا شيئاً ، لَكِن نبضات قَلْبِي هِيَ مِنْ أضافت سُرْعَة أَكْبَر ضَاق لَهَا تَنَفُّسِي ، شَعَرْت بِأَنِّي أركض وجسدي ثابتاً أمَامِه .

أُلْقِيَت التَّحِيَّة ، وَأَلْقَى نَظْرَةً لَمْ تَبْتَعِد عَنِّي طَوَالَ الوَقْتِ فأخجلتني . . . تَحْدُث لصديقتي الَّتِى أَصْرَرْت عَلَيْهَا الْقُدُوم مَعِي وظلت نظرته تحاصرني أَثْنَاء حَدِيثِهِم ، لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ عَيْنَاه الْمُتَعَلِّقَة بِي ، كِدْت أَبْكِي حياءً وَلَا يَرْحَمُنِي مِنْ تِلْكَ النَّظْرَة الطَّوِيلَة . .

أَنْهَى حَدِيثِه لصديقتي عَنْ شَيْءٍ لَمْ أَسْتَطِعْ سَمَاعُهُ مِنْ ضَوْضاء قَلْبِي المتوتر وَتَحَدَّث إلَيّ :

-إيه مافيش حَاجَة جَدِيدَة وَلاَ آيَه؟

تفاجأت مِنْ السُّؤَالِ فَلَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي إعْلَان إحباطي أمَامِه .

-لا حالياً فِي الْمُعَارِض مافيش ، بِس بنزل شُغْلٌ فِي الاتيليه .

اِبْتَسَم وَيَكْتُب شَيْءٌ مَا فِي أَوْرَاقِ الْعَمَل وَأَضَاف :
-أه مانا بشوف الشُّغْل الكتير اللَّيّ بِتَنْزِيلِه على الصفحة مَا شَاءَ اللَّهُ .

اِبتسَمَت صديقتي وَسَأَلْتُه بخبث :
-دا أَنْت شكلك مُتَابِعٌ بَقِى ؟

فاجأتني إجَابَتُه :
-طبعاً مُتَابِعٌ وَبِإِذْن اللهِ أنَّا معاها مِنْ أَوَّلِ خَطَوُه لِحَدّ مَا تُوُصِّلَ للي بتتمناه .

لَمْ يَكُنْ الْوَقْتُ مناسباً لِتِلْك الْمُقَابَلَة ، لَمْ أَكُنْ فِي اسْتِعْدَاد لِتِلْك الْمَشَاعِر الْمُبَعْثَرَة دَاخِلِيّ ، هَذِهِ الْفَتْرَةِ مُتْعِبُه وَبِهَا كَثِيرٍ مِنْ الْخِلَافَاتِ الَّتِى أَرْهَقَتْنِي وَأَثْبَتَت لِي أَنْ مَنْ كُنْتُ سأخبره بموافقتي عَلَى الزّوَاجِ مِنْهُ مُنْذُ أَسَابِيع ، لَيْسَ إلَّا شخصاً لَا يناسبني ، وَلَكِنَّه يَسْتَطِيع جَعْلِيٌّ أَصْدَقَ مَا لَدَيْهِ مِنْ مميزات مُزَيَّفَةٌ أَظْهَرَت حَقِيقَتِهَا الْمَوَاقِف الصَّعْبَة الَّتِى وقعنا فِي حُطَامِهَا .
. .

جَلَسَت فَوْق سَجَّادَة صَلَاتِي أَبْكِي وَأَشْكُو لِلَّه ضَعْفِي وحيرتي ، أَخْبَرَه كَم أَتَعَجَّبُ مِنْ زِيَارَةِ مَهَابّ مَنَامِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تحديداً ليجعلني أوْجَل قراري وَاكْتُشِف مَا كُنْت سأحييه مِن صعوبات طِوَال حَيَاتِي مَع شَخْصٌ لَا يناسبني ، شَكَوْت لَهُ عَدَمُ ثِقَتِي فِي أَنَّ مَا أَظُنُّهُ فِيه صحيحاً وحيرتي فِي أَمْرِهِ ، هَل أُعْطِيَه فِرْصَة أَخِيرَة أَم أَرْحَل ؟

أَنْهَيْت صَلَاتِي وغلبني النّعَاسُ وَأنّا أَبْكِي فَوْق وِسَادَتِي ، لِيَتَحَوَّل نَوْمِي كابوسا مُرَوِّعًا . . كابوسا يُخْبِرَنِي بِأَن اركض بِكُلِّ مَا فِي مَنْ قُوَّةِ بعيداً عَنْ هَذَا الشَّخْصِ . . اسْتَيْقَظْت فَزَعُه لَا أَقْدِرُ على مُحَادَثَتِه ، يُحَاوِل وَابْتَعَد عَنْه طِوَال أَسَابِيع خائفة ، كَان حُلْمِي بِه يُخْبِرَنِي بِكُم سيأذيني وَلَا أَسْتَطِيعُ التَّخَيُّل كَيْف سَيَفْعَل ذَلِك ؟

حَتَّى أَتَانِي الْيَوْمِ الَّذِي أَخْبَرَتْه فِيهِ بِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يطاردونني محاولين أذيتي وَإِثْبَات أَنِّي شَخْصٌ سَارِقٍ فِي عَمَلِي . . . لَمْ يَهْتَمَّ ! بَلْ أَنَّهُ دَافِعٌ عَنْ هَؤُلَاءِ ! زَادَت آذَيْتُهُم ولجأت لَهُ فَلَمْ يَصْدُقْ

أَخَذَت قراري وابتعدت عَنْه . .

مَرّ عَام وَنِصْف . . .

عَام وَنِصْفٌ مِنْ الِانْهِمَاكِ فِي الْعَمَلِ ، مِنْ الصَّمْتِ ، مِنْ الْكَثِيرِ وَالْكَثِيرُ مِنْ الصَّدَمَاتِ فِي كُلِّ مِنْ حَوْلِي . .

عَام وَنِصْفٌ مِنْ التَّغْيِيرِ ، وَالتَّحَوُّل مِنْ أَصَالَةِ الَّتِى لَا تَقْهَر ، إِلَى أَصَالَة الَّتِى تَعَدّ سَاعَات الْيَوْم لِتَنْتَهِي وتهرب إِلَى نَوْمٍ لَمْ يَعُدْ مُريحا لَكِنَّهُ عَلَى الْأَقَلِّ لَيْسَ كَوَاقِع مَلِيًّا بالصعاب والأوغاد فِي أَنَّ وَاحِد . .

تتساءل هَل أُفَكِّرُ فِي مَهَابّ ؟ نَعَم أُفَكِّر ، أُفَكِّر لِأَنَّه أَتَانِي لِلْمَرَّة الرَّابِعَةُ بَعْدَ قراري بِأَن أَتْرُك مَنْ كُنْتُ عَلَى وشك الزّوَاجِ مِنْهُ . . .

أَتَانِي فِي مَنَامِي لمرة أَخِيرَة ليعطيني مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ وَيَنْظُر إِلَيّ نظرته الْمُعْتَادَة وَيُخْبِر وَالِدَتِي مِنْ جَدِيدٍ

"مش الْمَرَّة دِي ، أَنَا كَدِّه كَدِّه جايلكم تاني"

لَكِنَّهُ لَمْ يَأْتِي . . . مَرَّت شُهُور وَلَم يَأْتِي ، ظِلّ بعيداً عَن وَاقِعِيٌّ . . . وَعَن مَنَامِي طُولَ تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وظِلّ مُحَاصِرٌ تَفْكِيرِي . . .

يأست . . رَفَضَت تَصْدِيق أَنَّهُ سَيَأْتِي ، شقيقتي عَلَى حَقّ ، لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي أَنَّ يَأْتِيَ لِمَا سينتظر كُلُّ ذَلِكَ الْوَقْتِ ؟ ؟

اسْتَسْلَمَت رَغِم شُعُور قَلْبِي بِأَنَّهُ سَيَأْتِي يوماً مَا . . .

رَفَضَت الإنْصِياع لِصَوْتِه دَاخِلٌ عَقْلِيٌّ الَّذِي يُخْبِرنِي أَنَّهُ سَيَأْتِي وَعَلَيّ أَنْ انْتَظَرَ . . . وَاتَّبَعْت طَرِيق فَارِغٌ مِنْ الْمَشَاعِرِ ، قَرَّرْت ألَّا أُفَكِّر فِيهِ مِنْ جَدِيدٍ ، انْقَضَى فِي ذَلِكَ الْقَرَار شُهُور قَلِيلَةٍ لَا أُذْكَرُ إن كَانَ مَرَّ عَلَى عَقْلِيٌّ بإرادتي مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقَلّ .

اسْتَيْقَظَت لأذهب لِعَمَلِي وَمَا إنْ دَخَلْت بملامحي العابسة

-غيابك طَالَ وَكَانَ لَازِمُ مَا أنتظرش اكْتَر مِنْ كَدِّه . . . وحشتيني يَا أَصَالَة

-4

-إسلام ؟ ؟

لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّع أَنْ يَعُودَ . . لَا أَعْلَمُ لَمَّا شَعَرْت بِحُنَيْن بَعْدَ رُؤْيَتِهِ مجدداً ، كُنْت غاضبة مِنْه بِشِدَّة بَعْدَمَا أَبْعَدْته عَنِّي وَرَفَضْت الزّوَاجِ مِنْهُ قَبْلَ شُهُور ، لَكِنْ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ أَمَامِي لَم أَتَذْكُر غَيَّرَ كُلَّ مَوَاقِفِه الْجَمِيلَة مَعِي .

اِبتسَمَت تلقائياً وَجَلَسَت مَرْحَبَة بِه ، سَأَلَنِي عَنْ أَحْوَالِي وَأَخْبَرَنِي عَنْ كَم الْعَذَابَ الَّذِي يعيشه بعيداً عَنِّي ، صَامَتْه فَقَط أَنْصَت إِلَيْه ، يُطْلَب الْعَوْدَة وإعطاءه فِرْصَة فأوافق . . . أَنَا بِحَاجَة لِوُجُود أَحَدُهُم . . . أَظُنُّ أَنَّهُ حانَ الوَقْتُ لِأَنَّ أُفَكِّر بِشَكْل إِيَجَابِيّ مِنْ جَدِيدٍ وأفكر فِي الزَّوَاجِ بِشَكْل جَاد .

الْعَجِيبِ فِي الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ إعطائي لَهُ فُرْصَةَ مِنْ جَدِيدٍ ، بَل مَوْقِفٌ وَالِدِي وَعَدَم رَغْبَتُهُ فِي ذَلِكَ رَغِم مُوَافَقَتُه مِنْ قِبَلِ . . . ظِلّ أَبِي يُخْبِرَنِي بِأَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِرَاحَة لِذَلِك الْقَرَار . . . عاندت ، سأجازف ، يَبْدُو عَلَيْهِ النَّدَم وَأَظُنُّ أَنَّ الْوَقْتَ أَكْبَر مُعَلِّمٌ وَأَنَّهُ رُبَّمَا تَعَلَّمَ كَيْفَ يَكُونُ صادقاً .

لَكِنَّ الْأَمْرَ كَانَ كارِثِي . . .

اعْتَقَدَ أَنَّهُ عَادَ لَيْسَ لِأَنَّ يَقُومَ بتصليح مَا أَفْسَدَهُ بَل ليدمر مَا تَبَقَّى مِنْ شَيْءٍ جَمِيل دَاخِلِيّ تُجَاهَه ، كَان يَتَشَبَّث بِي كَالْأَطْفَال ، يَخَاف ابتعادي لَكِنَّهُ لَا يَجْعَلَنِي أَرْغَبُ فِي التَّقَرُّب أَكْثَر؛ فَكُلَّمَا احتاجته لَا أَجِدُ مِنْهُ إِلَّا عَدَمُ الْوُجُودِ وَالصَّمْت . .

كُلَّمَا ضَاقَتْ بِي الدُّنْيَا وَذَهَبَت إِلَيْه لأرتاح أَعُود مَحْمَلِه بهموم أَكْبَر ، أَدْرَكْت غلطتي ، وَفَهِمْت أَن الْعَوْدَة للركض فِي طَرِيقِ مُظْلِم اِلْتَوَى فِيه كاحلي مِنْ قِبَلِ ، سيكسر كلى سَاقَي هَذِهِ الْمَرَّةِ .

اِبْتَعَدْت عَنْه بِصُعُوبَة لِشِدَّة تَعَلُّقُه بِي وَفِي النِّهَايَةِ سَأَلْت وَالِدِي ، لَمَّا لَمْ تَكُنْ تَرْغَب فِي خطوبتي مِنْ إِسْلَامِ رَغِم أنّك كُنْت مُوَافِقٌ مِنْ قِبَلِ ؟

-قبل مَا يَظْهَرُ فِي حَيَاتِك تَاني شوفتلك رُؤْيَة وماكنتش مُرْتاح ، نَصِيبَك مَش مَعَ إِسْلَامِ ، نَصِيبَك مَع حَدّ تَأَنِّي لسه قُدَامَة وَقْت .

كَلِمَات وَالِدِي ظَلَّت تَتَرَدَّد دَاخِلٌ عَقْلِيٌّ فَجَلَسْت أُفَكِّر لَيْلَةً كَامِلَةً . .

حَتَّى تَوَصَّلَت لِقَرَار وَلَن أَتَراجَع فِيه ، اتَّصَلَت بصديقتي وَعِنْدَمَا أَجَابَت :

-ميادة أَنَا هستنى مَهَابّ وَمَهْمَا جالي عِرْسان مَش هوافق بِحَدّ غَيْرِه .

قَرَار مَصِيرِي ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مدروسا بِدِقَّة ، وَأَنَا أَظُنّ أَنِّي لَا أَحْتَاجُ أَكْثَرَ مِنْ عَامَيْنِ لأدقق فِي قراري ، أَنَا اعْتَرَف . . . أَنَا أهْرَب مِن مشاعري ورغبتي فِي وُجُودِهِ ، وَتَصْدِيقِي لِلْوَهْم الَّذِي أعيشه بِأَنَّهُ سَيَأْتِي . . . أهْرَب بِإِسْلَام ، أهْرَب بِعَمَلِي . . .

أهْرَب بتفكيري بِأَنَّ كُلَّ مِنْ حَوْلِي يناسبونني وَذَلِك الْبَعِيد الْغَامِض . . لَا .

وَكُلَّمَا هَرَبَت كُلَّمَا تَأَكَّدَت أَكْثَر بِأَنِّي لَا أَرَانِي إلَّا مَعَهُ وَلَهُ !

لِذَا . . لَا مَزِيدَ مِنْ الْهُرُوبِ . . سأنتظره .

بَعْدَمَا أُغْلِقَت الْمُكَالَمَةِ مَعَ مَيَّادَة قُمْت بِإِنْشَاء خَانَه رَسَائِل عَلَى تَطْبِيقِ الواتساب ، خَاصَّة بِي أَنَا وأعطيتها اسْمُه وَصُورَتُه ، حَدَّثَتْه دَاخِلِهَا وَاعْلَم جيداً أَنَّهُ لَنْ يُجِيب لَكِنَّنِي سأنتظر أَنْ يَأْتِيَ وَأُضِيف وُجُودِهِ إلَى تِلْكَ الخَانَة ، وتتحول رسائلي إلَيْه وَاجْعَلْه يَتَطَلَّع عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ رَحْلِة انْتِظَارِي لَه .

حَادِثَتِه وَأَتَذَكّر التَّارِيخ وَالْوَقْت جيداً ، أَذْكُر أيضاً ابتسامتي وَشُعُور الارْتِيَاح الَّذِي لازمني طَوَالَ اللَّيْلِ يَوْمِهَا ، لَم أَنْسَى إلَى الْآنَ كَم أُخِذْن رَكْعَتَيْنِ صَلَاةَ الِاسْتِخَارَةِ الَّتِي صَلَّيْتهَا لِأَجْل قراري هَذَا . . . 25 دَقِيقَةٌ أَتَحَدّث إلَى اللَّهِ ، أَخْبَرَهُ عَنْ خَوْفِي مِنْ ذَلِكَ الْقَرَار ، وَعَن كرهي لِلِانْتِظَار . . . أَصِف لَه شُعُورِي وأفكاري وَأَسْأَلُه عَمَّا سَيَكُون الْقَادِم فِي حَيَاتِي المليئة بالغرابة ! ؟

وَمُنْذ ذَلِكَ الْحِينِ انْتَظَر ، أَتَحَدّث إلَيْ مهاب في "الشات" بِينَمَا تمزقني الْأُمِّيّ فَابْكِي شَاكِيَةٌ لَه ، أركض إلَيْه لأناقشه فِي أَمْرٍ يهمني تَفَاصِيلَه . . . أَضْحَك عِنْدَمَا تسعدني الْمَوَاقِف وأشاركه تَفَاصِيل كُنْت أَتَمَنَّى أَنْ يُشَارِكَنِي فِيهَا . .

أيأس فَأَخْبَرَه ، أَعُود لطاقتي فَأُبَشِّرَه .

أَنْهَار فأترجاه لِيَأْتِي ، أتشتت وَأَصَاب بِتِيَّة يُؤْذِينِي . . . فَأَخْبَرَه بَاكِيَةٌ كَم أنّي احْتَاجَه . . .

وَفِي كُلّ ذَلِكَ أَكُون مُدْرِكَة تماماً أَنَّ مَا أَتَحَدّث لَه سَرَابٌ لَم يحين الْوَقْتِ لِأَنَّ يُصْبِح واقعاً بَعْد . . لَكِنِّي لازلت وَاثِقَةٌ بِأَنَّه آتٍ . .

لَكِن لِكُلِّ أَمْرٍ زَاوِيَةٍ أُخْرَى . . وزاويتي الْأُخْرَى أَرْهَقَتْنِي وأهانت كبريائي فَهَلَكَت . .

قِيلَ لِي قديماً أَن رَغِم مميزاتي الْكَثِيرَةِ إِلَّا أَنْ عَيْبِي كَبِيرٌ وخطير وسيظل مَصْدَرٌ أَذِيَّة لِي ، وَأَصْبَحَت أُومِن بِذَلِك

فَأَنَا لَدَيّ عَيْبٌ يَعْتَقِدُه الْبَعْض طَيِّبَة قَلْب ، وَاعْتَبَرَه أَنَا سَذاجَة

أَن تحمست لِأَمْرٍ مَا أَسِيرٌ فِي أَرْضِ اللهِ أتحاكي عَنْه بابتسامة بَلْهَاء ، أَرَى جَمِيع الْبَشَر حِينِهَا مَلَائِكَة ويصدمني الْوَاقِع بنفوس خُلِقَت لتتنفس شراً وَتُزَفِّرُه أَضْعَاف فِي وُجُوهِ ضُعَفَاء الْحِيلَة وَالطَّيِّبُون .

تَحَدّثَت كثيراً عَمَّا أَنَا انْتَظَرَه ، عَن قِصَّتِي الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَيْسَ لَهَا قِيمَةٌ لِلْبَعْضِ حَتَّى عِشْت أَشْهُر انْتِظَارِي كَامِلَةً فِي إِحْبَاطِ وَلُؤْم . .

قِيلَ لِي أَنَّنِي أُفْنِي شَبَابِي فِي اللاشيء .

أَخْبِرُونِي كَم أنني عاشقة لِلْوَهْم ، مَحَبَّة لِإِهْدَار الْوَقْتِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ موجوداً مِنْ قِبَلِ وَلَنْ يَأْتِيَ .

سَخِرُوا مِن رُؤْيَايَ وَمَن تَصْدِيقِيّ لَهَا وَإِيمَانِي بِأَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ مَعِي رَسَائِل مِنْ اللَّهِ . .

هَجَمَت بِقُوَّةٍ مِنْ كُلِّ مِنْ حَوْلِي وتذوقت طعماً لَا يَزُولُ مِنَ النَّدَمِ ، كُنْت أَبْكِي لَه وَاطْلُب مِنْهُ أَنَّ يَأْتِيَ ليخبرهم أَنَّنِي لَا أَتَوْهُم وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُجِيبُ وَأَنَا أَعْلَمُ فَذَلِك يؤلمني أَكْثَر ولازلت اصْبِر وَانْتَظَر . . .

فِي تِلْكَ الشُّهُور كُنْت اراقبه بِشَكْل يُومِئ ، عَلِمْت تَفَاصِيلَه أَكْثَرَ مِنْهُ ، مَتَى يَنَام وَفِي أَيِّ أَيَّامَ يَفْضُل السَّهَر وَمَعَ مَنْ يُحِبُّ الْخُرُوج وَالسَّفَر .

أكلاته الْمُفَضّلَة وأماكنه الْمُعْتَادَة وَأَشْخَاصُه الْمُقَرَّبُون .

مَنْ هُمْ عائِلَتِه، وَمَنْ هَمَّ أَهَمّ الْأَصْدِقَاء وَمَن مِنْهُمْ فَقَطْ زملاء الْعَمَل .

عِشْقُه للقهوة وَأُمّ كُلْثُومٍ مِثْلِي ، تَفْضِيلُه لِلصَّمْت الطَّوِيل وَالْعُزْلَة أَحْيَانًا وَحُبُّه لِلسَّفَر وَالصَّخَب مُعْظَم الْوَقْت .

فِي أَيِّ مُلَابِسٌ يَرْتَاح وَأَيُّهُمَا لَا يَفْضُلُ وَلَكِنَّه مُجْبَرٌ عَلِيّ ارتدائه ، طُفُولَتِه المختبئة خَلْف كارزمة رُجُولِيَّة جامحة .

كَثِير وَكَثِيرٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ اعْلَمْ أَنَّهُ إنْ أَتَى وَعُلِم معرفتي بِهِم دُونَ أَنْ نتعارف سيصاب بالذهول . . . لَكِن دهشتي أَنَا كَانَتْ فِي كَمْ أَنَّنَا متشابهين ، وَكَم أَنَّ كُلَّ مَا كُنْت أبْحَث عَنْهُ مِنْ صِفَاتِ فِي كُلِّ البَشَرِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هُوَ . .

انْتَظَرْته وتابعت أخْبَارِه لَأَعْلَم بِمَا يُشْعِرُ ، وَمَا تَفَاصِيل يَوْمِه ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَدُورُ مِنْ حَوْلَهُ فَصِرْت أَشْعَر عِنْدَمَا أحادثه بِارْتِيَاح كَبِيرٌ وَكَأَنَّه وَاقِعٌ أَمَامِي وَفِي أَيِّ لَحْظَةٌ سيجيب رسائلي . .

طَال انْتِظَارُه ، وَبَدَأَت أَفْقِد أَمَلِي إلَى أَنْ زَارَنِي فِي الْمَنَامِ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ غِيَابِ طَوِيلٌ . .

تَعَجَّبْت مِن مَنَامِي هَذِهِ الْمَرَّةِ بِشِدَّة ، قَدْ سُرِقَتْ فِي حِلْمِي وظللت أصرخ فِي الْبَشَرِ مِنْ حَوْلِي وَأَنَا وَحَيْدَة وَأَخْبَرَهُم بِأَنِّي اعْلَمْ أَنَّ السَّارِق واحداً مِنْهُم ، لَا أَحَدَ يأبه وَلَا أَحَدٌ يُصَدَّقُ وَلَا أَجِد سارقي وَلَكِنِّي أصرخ بِثِقَة أَنَّهُ مَوْجُودٌ بَيْنَهُم . . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ أَتَى مَهَابّ إلَيّ وَتُعْرَف عَلَى السَّارِقِ وَأَتَى بحقيبتي مِنْه ، وابعدني عَنْ هَذَا الْمَكَانِ الْغَيْر آمَن . . .

كُنْت أُحَاوِل فَهُم تَفْسِيرِ الْحِلْمِ لَكِنْ مَعَ كُلِّ مَرَّةٍ اقْرَأْه فِيه أَتَعْجَب ! يَقُول التَّفْسِير أَنَّنِي سأحاول إثْبَاتِ كَلَامِ مَا لِلْبَشَرِ مِنْ حَوْلِي وَلَن أَسْتَطِيع لَكِن مَهَابّ مِن سيثبته لَهُم !

كَيْفَ ذَلِكَ ومهاب لَيْس شخصاً حقيقياً فِي حَيَاتِي ؟ وَمَا هُوَ الْكَلَامُ الْمُفْتَرِض أَنْ أَثْبَتَهُ وَلِمَن ؟

لَم اِهْتَمّ كثيراً فَقَدْ كَثُرَتْ أَحْلاَمِي عَنْهُ وَلَمْ يُفَسِّرْ أَحَدُهُم إطلاقاً ، فسأضم ذَلِك لِلسِّتَّة أَحْلاَمِي الْوَهْمِيَّة كَمَا تُسَمِّيهَا شقيقتي .

سَأُخْبِرُك شَيْءٌ يحيرك مُنْذُ بِدَايَةِ حَدِيثَي . . . أَنْت تتساءل لِمَاذَا أَحْلاَمِي شَيْءٌ مُقَدَّسٌ لِي ، أَلَيْس كَذَلِك ؟

جَمِيعُ مَنْ حَوْلِي تَسَاءلُوا وَلَكِنَّنِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ لَمْ أَجِدْ أَجَابَه أَقْدِرُ عَلَى إقناعهم بِهَا فَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي مُقَنَّعٌ لَو تَرْغَب فِي الْحَقِيقَةِ .

فَكَيْفَ لِي أَنْ أقنعهم بِأَنَّنِي مِن أَعْوَام مَضَت عِنْدَمَا بَكَيْت فِي يَوْمِ عَرَفَةَ بِقُوَّة لوحدتي وَقِلَّةِ حِيلَتِي وَطَلَبَتْ مِنْ اللَّهِ أَنْ يشعرني دائماً بِأَنَّه بقربي ويسمعني ، ويحادثني بِإِرْسَالِه لِي إشَارَات فِي كُلِّ شَيْءٍ أَوْ حَتَّى فِي أَحْلاَمِي ، أَقْسَم أنني كُنْت ادَّعَوْه بِقَلْب مُحْتَرِق وَلَكِنْ بِعَقْل غَائِبٌ لَا يَعِي أَيّ شَيْءٍ يَتَفَوَّه بِه ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ كَانَ مَا أَطْلُبُه يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حقيقياً ذَاتَ يَوْمٍ أَمْ لَا ، فَقَط ادَّعَوْ لأرتاح . . . لَأْلَا أَشْعَر بِتِلْكَ الْوَحْدَةِ المميتة .

وَلَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّ يُمَكِّنَ لِدَعْوَة فِي وَقْتِ اِسْتِجَابَةٌ أَنْ تُقْلَبَ حَيَاة شَخْصٌ رأساً عَلَى عَقِبٍ !

هَذَا مَا حَدَثَ لِي مُنْذُ آل 15 ، نَعَمْ فِي هَذَا الصِّغَر وَمَن حِينِهَا وَلِكُلِّ شَيْءٍ يَحْدُثُ لِي تَحْذِيرٍ أَوْ بِشَارَةٌ ، فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَات أَفْهَم رَسَائِلِه لِي ، وَبَاقِي الْوَقْت أتفاجأ بِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَنِي إِلَّا أَفْهَم شيئاً إِلَّا بَعْدَ انْتِهَائِهِ .

دائماً مَا أَشْكُر اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْهِبَةِ رَغِم صُعوبَتِها وَثِقَلِهَا ، لَكِنِّي أَشْكُرُهُ عَلَى كُلِّ كَرْبٍ وَهُم حَدِّثُوا لِي ؛ فَقَد تَعَلَّمْت مِنْهُم الْكَثِير وَكَانُوا منعاً لأسوء . . .

كَمَا شَكَرْته عَلَى طمأنته لِي الَّتِي لَمْ أَفْهَمْهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْهَمَ مَاذَا تَعْنِي رُؤْيَاي فِيه ، لَكِنْ مَعَ الْأَسَف فَلَمْ يَسَعْ الْوَقْتُ للتفكير أَكْثَر فَقَدْ انْقَلَبَ كُلِّ شَيْءٍ ضِدِّي . .

فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ مَهَابّ يَسْتَمْتِع فِي عطلته كُنْت أصرخ فِي الْجَمِيعِ أَنَّنِي لَن أَتَزَوَّج غَيْرِه ، كُنْت غبية لِأَنِّي لَمْ اِرْفَض دُونَ أَنْ أَخْبِرْهُمْ السَّبَب لرفضي ؛ فَلَو أَنَّنِي لَمْ أَصْرَح بِمَا دَاخِلِيّ لِمَا عاندوني وَقْتِهَا وأجبروني عَلَى أَنَّ أُوَافِقُ عَلَى الشَّخْصِ الْمُنَاسِبَ مِنْ وَجْهِة نَظَرِهِم وَابْتَعَدَ عَنْ اوهامي .

"فوقي بَقِى فَوْقِي ، اللَّيّ أنتي عايزاه دَه عُمْرِهِ مَا فَكَّرَ فيكي أصلاً ومش عارفك ، هيجي ازاي وَبَعْد السِّنِين دِي كُلُّهَا ؟ أنتي اتجننتي يَا أَصَالَة خَلَاص اتجننتي"

كَانَتْ كَلِمَات سهيلة شقيقتي تَتَرَدَّد دَاخِلٌ رَأْسِي وَأَنَا دَاخِلٌ اتوبيس النَّقْلِ الَّذِي سينقلني لمكاني الَّذِي كُلَّمَا عَزَمْت عَلَى تَرْكِ الْكَوْكَب أَذْهَبُ إِلَيْهِ ، كُنْت فِي حَالَةِ مُزْرِيَةٍ ، فُقِدَت أَمَلِي وشغفي بِالْكَامِل . . . . أَشْعَر أَنَّنِي اِسْتَسْلَم ، انْتَهَى صَبْرِي وَعَزْمِي عَلَى الِانْتِظَار . .

قَد كَتَبْتُهَا فِي مذكراتي مُنْذ أَنْ قَرَّرْتُ أَنَّ انْتَظَرَ "والمرة دِي هستنى الْوَهْم لِأَنِّي مصدقاه"

أَمْسَكَت هاتِفِي وَقُمْت بِتَسْجِيل مَقْطَع صَوْتِي فِي الشات الوهمي بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَتَحَدَّثَت بِأَلَم حَقِيقِيٌّ " مَش عَارِفَة اقولك سامحني إنّي مابقتش مُصَدِّقَةٌ وَهْمِيٌّ بيك وَلَا اقولك اعْتَذَر لِي عَلَى كُلِّ اللَّيّ فَات وَاللَّيّ أَنْت مَش عَارِفَة أصلاً ! ! بِس هقولك إنّي بعلن استسلامي ، أَنَا حَارَبَت كتير لواحدي يَا مَهَابّ . . . أَنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ ماكنتش بِحِسّ بِأَنّي لواحدي ودايماً بِكَوْن حَاسَّة وَجُودك جَنْبِي لَكِن دلوقتي . . . خَلَاص يَا مَهَابّ مابقاش مَسْمُوحٌ لِيَا تَاني أستناك ، هيجوزوني لِوَاحِد عُمْرِي مَا هشوفه أَنْتَ وَلَا هحب تَفَاصِيلَه زيك . . هتوحشني يَا صَاحِبَ الْأَعْيُن الباسمة"

أَرْسَلْت صَوْتِي وَنَظَرْت لِصُورَتِه لأُوَدِّعَه لَكِنَّنِي عُدَّت لثقتي وشعوري مِنْ جَدِيدٍ . . . أَنَّا لَنْ اِسْتَسْلَم سَيَأْتِي . .

كُتِبَتْ لَهُ " أَنَا مُحْتَاجَة ليك بِجِدّ ، دَه اِكْتَر وَقْت مُحْتَاجَةٌ لِوُجُودِك فِيه . . تَعَالَى بَقِى . . "

تَأَمَّلْت الطَّرِيقِ مِنْ النَّافِذَةِ بِجَانِبَي وَأَنَا أناديه مِن دَاخِلِيّ بِصَمْت حَتَّى انْتَبَهَت إلَى أَنْ الْجَمِيعَ يَدْفَعُون أُجْرَتُهُم وَلَم أَفْعَل

-أتفضل الْأُجْرَة .

--بس أَنَا دَفَعْت خَلَاص .

كُلُّ مَا بِي أَصَابَه الْجُمُود وَقَلْبِي وَحْدَه يَرْتَجِف ، أَنَا أَتَوْهُم بِالْفِعْل ؛ أَصْبَحْت مِنْ كَثْرَةِ رَغْبَتِي فِي قُدُومِهِ أتَخَيَّل وُجُودِه وَسمَاعُ صَوْتِهِ !

-5

هُنَاك شُعُور سينتابك عِنْدَما يَكونُ مَا يُقَالُ حَوْلِك صادقاً . . إنْ لَمْ تَكُنْ تَعَلُّمُ هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي يَتَحَدَّث إِلَيْكَ وَلَا تَثِقْ بِكَلِمَاتِه فَثِق بشعورك لحظتها . .

فَإِنْ كَانَ صادقاً ستتأثر بِالْفِعْلِ لِمَا يُقَالُ . . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فالسخرية والجمود سيجتاحوا قَلْبِك حِينِهَا .

هَذَا مَا عَلِمْته لِي أعوامي ال28 فِي تِلْكَ الْحَيَاة المليئة بالدروس الحياتية الْهَامَة .

شُعُورِي تُجَاه كَلِمَاتِهَا وَهِي تَصْرُخ بِي كَانَ يَجْعَلَنِي أَرْغَبُ فِي أَنَّ أَجْعَلَ كفوفنا تتلامس ؛ لتشعر بِوُجُودِيّ الْحَقِيقِيّ وَالَّذِي لَا أَفْهَمُ لِمَا لَا تُصَدِّقْه ! ؟

-ماتقوليش كَدِّه أَرْجُوك ، ماتقوليش أَنَا معاكي وسامعك ، أَنْت مَش حَقِيقِيٌّ ، أَنَا مَش صاحية ، أَنَا بِتَوَهُّم . . كُلّ دَه وَهُم وَأَنَا بِس اللَّيّ مصدقاه . .

كَانَ يَجِبُ أَنْ أَتَحَدّث لَكِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ ، كَانَ الْكَثِيرُ مِنْ الزِّحَامِ فِي رَأْسِي يعرقل الْأَحْرُف ، وَمَن الْمُؤَكَّد لَو أَنَّنِي تَفَوَّهَت بِأَيّ كَلِمَة سأتحدث بترهات لَيْسَ لَهَا مَعْنًى ، وَهَذَا لَن يُنَاسِبُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَوْقِفِ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ بهين . .

كَانَت لاتزال مغمضة جفونها وَتَتَسَاقَط مِنْهَا الدُّمُوع ، بَعْدَمَا طَال صَمْتِيّ اِرْتَخَت جفونها وفتحتهما بِبُطْء لتجدني مَازِلْت أُنْظُر لَهَا بقلق ، مَسَحَت عُيُونُهَا بِأَيْدِيهَا المرتجفة وَنَظَرْت مجدداً فجعلتني اِبْتَسَم اِبْتِسَامَةٌ صَغِيرَة اجبرتني عَلَيْهَا ردود أَفْعَالِهَا الْغَيْر مُصَدِّقَةٌ . . .

-أنت ماختفتش لَيَّه ؟

--وهختفي لَيَّه يَا أَصَالَة ؟

صَمَتَت وَتَنْظُر إِلَيّ بِقُوَّة وَكَأَنَّهَا تُرِيد التَّأَكُّد ، أَوْ أَنَّهَا تُحَاوِل الِاسْتِيعَاب ، مَدَدْت يَدَي بعلبة مناديلي لتجفف دمعاتها بِأَحَدِهِم ، فتأملتها بِصَمْت . .

-خدي امسحي دُمُوعِك يَا أَصَالَة .

نَظَرْت إِلَيَّ ثُمَّ عَادَتْ بِبَصَرِهَا للعلبة الَّتِي بِيَدِي ، حَرَّكَت يَدِهَا أخيرًا فِي اتِّجَاهِ الْعُلْبَة وَعِنْدَمَا لَمَسَت أناملها الْعُلْبَة صَرَخَت وَهِمْت وَاقِفَة وَاضِعِه كلى كَفَّيْهَا عَلَى فَمِهَا وَتَنْظُر إِلَيّ بِصَدْمَة ، جَعَلْتنِي اِرْتَعَب . . مَا يَحْدُثُ لَيْس طبيعياً وَعَهِدْت إِلَّا أَرْحَل مِنْ أَمَامِهَا قَبْلَ أَنْ أَفْهَمَ كُلِّ شَيْءٍ . .

وَقَفْت أَمَامَهَا فَلَمْ تَتَحَرَّكْ وَتَنْظُر فَقَط بِصَدْمَة ، صِرْت الْتَفَت حَوْلَنَا بِحَذَر خوفاً مِنْ أَنَّ تَكُونَ أَفْعَالِهَا الجنونية قَد جُذِبَت الأَنْظَار إِلَيْنَا ، وَحَمِدْتَ اللَّهَ أَنْ مَا حَوْلَنَا فَارِغٌ مِنْ الْبَشَرِ بِشَكْل نِسْبِيّ ، تَحَدّثَت إِلَيْهَا بملامح غاضبة ونبرة هَادِيَة :

-أصالة بَعْد أنك تَهْدِي علشان النَّاس ماتفهمناش غَلَطٌ ، أقعدي وَنَتَكَلَّم بِس أَهْدَى . .

جَلَسَت وَهِيَ عَلَى نَفْسِ وَضعَهَا بذهولها ونظرتها المصدومة الَّتِي لَا تَبْتَعِدَ عَنْ ملامحي ، زَفَرَت بِقُوَّة فَقَدْ نَفَذَ رصيدي مِنْ الصَّبْرِ فَتَحَدَّثَت بِحَدِّه . .

-أنا زهقت ، مَا تفهميني فِي آيَه؟ أَنَا صَبْرِي نَفَذ .

انْسَحَبَت كفوفها مَنْ عَلَى فَمِهَا لتستقرا جَانِبِهَا وَتَحَوَّلَت مَلاَمِحُهَا المصدومة إلَى جُمُود تَامّ وَنَظَرُه ثَابِتَةٌ بِتَنَاقُض مُمِيت ، أشعرني بِأَنَّ تِلْكَ الفَتَاة مَرِيضَة نَفْسِيَّةٍ أَوْ بعقلها شَيْءٌ غَيْرُ طَبِيعِيٍّ وتساءلت بِهُدُوء . .

-صبرك نَفَذَ مِنْ 10 دَقَائِق ؟

تَرَاجَعَت عَن نَبْرَة الْحِدَّة لأحاول اسْتِجْمَاع طَاقَتَي وَتَحَدَّثَت مبرراً لجملتي :

-ما أَنَا مِنْ حَقِّي أَفْهَم ، وأنتي معذباني بقالك 10 دَقَائِق ، وَكُلّ حَاجَة بتحصل قُدَّامِي غَرِيبَةٌ ومريبة ومش فاهِم حَاجَة .

اِبتسَمَت ، ضَحِكْت بِقُوَّة أغضبتني أَهْلِ مَا يَحْدُثُ لَعِب بأعصابي لانتقام مَا أَمْ مَاذَا ؟ لَنْ أَكْذِبَ غَضِبْت بِشِدَّة وظللت انْظَر إلَيْهَا بِغَضَب حَتَّى تَحَوَّلَت ضحكاتها لضحكات يصطحبها دُمُوع غَزِيرَةٌ . . لَا أَفْهَمُ كَيْف لبشري أَنْ يَضْحَكَ وَيَبْكِي فِي أَنَّ وَاحِد وَلَن أَتَعْجَب كثيراً فَتِلْك الَّتِي أَمَامِي مِنْ أَفْعَالِهَا أَشُكُّ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِثْلُنَا بِشْر يَنْتَمِي لكوكب الْأَرْض !

وَقَفَتْ وَهِيَ تنهي ضحكاتها وَتَرَكْت دُمُوعُهَا تحادثني ، رَاحِلَة مِنْ أَمَامِي فأوقفتها بِسُؤَال غَاضِبٌ :

-أنتي رَايحة فِين ؟ أنتي مَش هتمشي مِنْ هُنَا إلَّا أَمَّا أَفْهَم آيَه بِيَحْصُل .

التَّفَتُّت إلَيّ ونظرتها كربجتني ، لَمْ تَكُنْ عَاتَبَه . . لَمْ تَكُنْ غاضبة ، أَقْسَم أَنَّهَا كَانَتْ تُعْلِن خِذْلَان عَظِيمٌ جَعَلَنِي لَمْ أَسْتَطِعْ النَّوْم لِلَّيَالِي طِوَال

قَبْلَ أَنْ تُكْمِلَ طَرِيقُهَا وَتَتْرُك الْحِيرَة رَفِيقٌ دربي ، أَلْقَتْ فِي وَجْهِي جُمْلَة صادمة

-لما تَتَعَلَّم الصَّبْر اللَّيّ صبرته علشانك لِمُدَّة سَنَتَيْن و4 شُهُور و13 يَوْم ، وَقْتِهَا هتعرف آيَه بِيَحْصُل . . . . فِرْصَة سَعِيدَة يَا أُسْتَاذُ مَهَابّ .

لَن يُفِيد كبريائي فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، لَن يَكُن حلاً أَنْ أَقِفَ وَاتْرُك رَحِيلُهَا مِنْ أَمَامِي يَكْتَمِل ، ذَهَبَت خَلْفَهَا مسرعاً ، رَغِم خطواتها السَّرِيعَة إلَّا أَنَّنِي لَحِقَت بِهَا وَوَقَفَتْ أَمَامَهَا أُحَاوِل مَنْعُهَا مِنْ الرَّحِيل وَتَصْحِيح خُطَاي ، أَنَّا لَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي تَمُرُّ بِهِ ، مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ تِلْكَ الْغَرَابَة لَيْسَت مُبَالَغَة ، فَلَا بُدَّ أَنْ الْأَمْرَ كَبِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لَهَا وَمَا كَانَ عَلِيٌّ أَبَدًا أَنْ اِنْفَعَل . . لَكِن دَعُونِي اتساءل ، عَنْ أَيّ اِنْتِظَار تَتَحَدّث ؟

-أصالة أَنَا آسِفٌ عَلَى اسلوبي ، بِس حطي نَفْسِك مَكَانِي ، وَاحِد يُقَابِل وَاحِدَة صَدَفَة ويتفاجيء أَنَّ فِي بَيْنَهُم شَات وَهُو عُمْرِهِ مَا كَلَّمَهَا ، وَأَفْعَالِهَا غَرِيبَةٌ ومش قَادِرٌ يُفْهَمُ مِنْهَا أَيْ حَاجَةٍ طَبِيعِيٌّ أَنِّي اِنْفَعَل ، بِس حَقِيقِيٌّ بعتذر . . مُمْكِنٌ تستني وَنَتَكَلَّم بِهُدُوء وصدقيني هصبر وأسمعك ؟

تَوَقَّفَت وَنَظَرْت إلَيّ ولازالت نَظَرِه خَذَلْنَاهَا تُؤْذِينِي وتبث إلَى الشُّعُور بِالذَّنْب ، وَلَا افْهَمْ مَا هُوَ جُرْمِي ؟

صَاحَت بِي :

-أحط نَفْسِي مَكَانَك ؟ مَا أَنَا بِحَطّ نَفْسِي مَكَانَك بقالي سَنَتَيْن وَشُهُور أَنْتَ مَا قدرتش تَحُطّ نَفْسِك مَكَانِي لِعَشْر دَقَائِق بِس . . عَشْرَ دَقائِقَ بِس ماقدرتش تصبرهم ، هآمن أحكيلك آيَه وأزاي ؟ بَعْد إذْنِك سَبَّنِي أَمْشِي .

تَحَرَّكَت مِنْ أَمَامِي وَأَنَا ثابتاً ، كَلِمَاتِهَا جمدتني أُحَاوِل اسْتِيعَابُهَا وَعَقْلِيٌّ فَقَد قُدْرَتِهِ عَلَى الْعَمَلِ ، تَنَبَّهْت أَنَّهَا تَبْتَعِد وَتَخْرُجُ مِنْ البوّابة ، لَحِقَت بِهَا لأصعد .

خَلْفَهَا الحافِلَة وَاقِفٌ خَلْفَهَا أُنْظُر لَهَا واحادثها دَاخِلِيّ دُون وَعِيّ ، دَفَعْت الْأُجْرَة لكلانا مِنْ جَدِيدٍ فَنَظَرْت لِلْخُلْف لتفاجئ بِي خَلْفَهَا ، تبادلنا نَظَرِه طَوِيلَة تَتَحَدّث وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الصَّمْت أَكْثَر

-أصالة خَلَّيْنَا نَتَكَلَّم بِلاش اللَّيّ بِيَحْصُل دَه ، صدقيني هصبر الْمَرَّة دِي .

--مش هتقدر تَصْبِر يَا مَهَابّ ، وَاعْتَبَر كُلّ اللَّيّ شوفته . .

صَمَتَت لبرهة وتنفست بِثِقَل وَأَكْمَلْت بِصَوْت مُخْتَنِق :

-اعتبر كُلّ اللَّيّ شوفته وَهُم .

أدَارَت ظَهْرِهَا إلَيّ وأفكر مَا الَّذِي يُمْكِنُ قَوْلُهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، وَجَدْتهَا تَلْتَفِت لِي فَجْأَة برعب وَآخِرُ مَا سَمِعْتُهُ هُو صَوْتَهَا يَصْرُخ بِاسْمِي ، أَظُنّ أَنَّهَا رَأَتْ السَّيَّارَة الْأُخْرَى قَبْلَ لَحْظَة اِصْطِدامُها بحافلتنا . . .

كُلّ شَيْءٍ صَارَ صامتاً فَقَط أَسْمَعُ صَوْتَ طَنِين مُزْعِج فِي أُذُنِي ، وَلَا أَرَى غَيْر الظَّلَام ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ وَلَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي حَدَثَ ؟

أفقت عَلَى صَوْتِهَا يَبْكِي صَارِخًا ، أَصْوَات كَثِيرَةٌ تتسابق لِتَدْخُل أذْنِي أَوَّلًا فَاسْمَع أَصْوَاتًا كَثِيرَةٌ عَالِيَة ، شَعَرْت بِالْأُمّ كَثِيرَةٌ فِي جَسَدِي دَفْعَةً وَاحِدَةً ، جَاهَدْت فِي أَنَّ أَفْتَحَ جفوني وأن أَتَحَرَّك ، شَعَرْت بسخونة وَصَلَابَةٌ أَسْفَل جَسَدِي ، فُتِحَت عَيْنِي لأجدها جَالِسَةٌ أَمَامِي عَلَى الطَّرِيقِ تَبْكِي وتناديني ، هُنَاك دِمَاء عَلَى جَبِينَهَا تَتَسَاقَط بَعْضٍ مِنْهُ ليغطي جفنها الْأَيْمَن ، لَمْ أَقْدِرْ عَلَى النُّطْقِ ، فَهُنَاك شَيْءٍ ثَقِيلٍ فَوْق صَدْرِي يعرقل تَنَفُّسِي . .

خَارَت قُوَّتِي لِأَعُود لِإِغْلَاق جفوني وفتحهم بِصُعُوبَة وَالْتَفَت بِبَصَرِي عَلَى مَا حَوْلِي ، هَذِه الحافِلَة الَّتِي تكومت فِي جَانِبِ الطَّرِيقِ حافلتنا ، وسيارة النَّقْل هَذِهِ الَّتِي لَمَحْتهَا أَثْنَاء الاصْطِدَام قَبْلَ أَنْ أَفْقِد وعيي . . هُنَاك كَثِيرٍ مِنْ الْبَشَرِ ملقين عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ مِثْلِي جَرْحَى . . أَنَّا لَا أَعْلَمُ هَلْ أَنَا أَنْزَف مِثْلَ هَؤُلَاءِ أَمْ لَا ، لَكِنَّنِي لَسْتُ بِخَيْرٍ . .

-مهاب فَوْق أَرْجُوك ماتسيبنيش ، ماتموتش لَا يَا مَهَابّ ، هحكيلك بِس فَوْق أَرْجُوك أَنَا ما صدقت لَقِيتُك . .

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِأَعْيُن تُقَاوِم لِتَبْقَى مَعَهَا ، أَهَذِه نَظَرِة خَوْف وَهَذِه كَلِمَات تَرَجِّي لأظل مَعَهَا ؟ أَلَيْسَتْ هَذِهِ الَّتِي كُنْتَ أَتَوَسَّل إِلَيْهَا مُنْذ قَلِيلٌ ؟

سَمِعْت صوتًا يَقْتَرِب لِرَجُل يَتَساءل :

-جوزك جراله حَاجَةٌ يَا مُدَامٌ ؟

وُجِدَت أَنَّهَا تَتَحَدّث بِخَوْف حَقِيقِيٌّ وَتَبْكِي :

-مش عَارِفَة ، مَش عَارِفَة أَنَا عايزة إسعاف ، ارجوكم اعْمَلُوا حَاجَة أَنَا لواحدي مَش عَارِفَة أَتَصَرَّف .

غَاب صوتهم وصورتهم عَنِّي لِوَقْت مَا وَعَدْتَ إِلَيْهِم بوعيي مِنْ جَدِيدٍ لَأَجِد رَجُلَان يحملاني وَهِي تقودهم إِلَى سَيّارَة أُجْرَة ، وضعوني بِالْخَلَف وَجَلَسَت هِي بِجِوَار السَّائِق وَآخِرُ مَا اتذكره أنني رَأَيْت خَوَّفَهَا وشعرت بنعومة انامِلها تضغط عَلَى معصمي . .

عُدَّتْ مِنْ جَدِيدٍ لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ أَعْلَى سَرِير مُسْتَشْفَى ، رَأْسِي ثَقِيلٌ وقدمي تؤلمني بِشِدَّة ، أَنن بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ فأجدها تَظْهَر أَمَامِي وتسألني بِأَعْيُن قَلِقَةٌ :

-أنت كُوَيّس ؟

--رجلي بتوجعني آوِي ، وَحَدّ قَاعِدٌ فِي دِماغِي .

سَمِعْتُ صَوْتَ مَا لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ فَأَجِدُه الطَّبِيب :

-حمدالله عَلَى السَّلَامَةِ يَا بَطَل ، ماتقلقش رِجْلِك بتألمك لِأَنَّ فِيهَا اِلْتِوَاء بَسِيطٌ وَبِإِذْن اللَّهُ مَعَ الْعِلَاج وَالرَّاحَة هتخف بِسُرْعَة ، أَمَّا اللَّيّ قَاعِدٌ فِي دماغك دَه مِنْ أَثَرِ الخَبْطَة اللَّيّ اتخبطها فِي الْحَادِث وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهَا جِت سَلِيمَة وَبِإِذْن اللَّه وَقْت بَسِيطٌ ومش هتحس بِعَدَم الاتّزَان وَالثِّقَل دَه تَأَنِّي .

تَحَدّثَت إِلَى الطَّبِيبِ لأسأله عَنْ أصالَةٍ وَعَن جروحها فَرَأَيْتُه يُتَعَجَّب ويسألني :

-جروح آيَه ، هِي اتصابت معاك فِي الْحَادِث ؟

نَظَرْنَا تُجَاهَهَا لنسألها فَأَنَا رَأَيْت دِمَائِهَا بِنَفْسِي ، لَمْ نَجِدْهَا فَتَعَجَّبْنَا لَم نلحظ أَنَّهَا رَحَلْت خَرَج الطَّبِيب لِيَبْحَث عَنْهَا وَسَمِعْت ضَوْضاء آتِيه مِنْ خَارِجِ الغُرْفَة ، وَجَّهْت بَصْرِيٌّ لُبَابُهَا لَأَجِد الطَّبِيب يَدْخُل مسرعاً وَخَلْفَه ممرضتين يَحْمِلَان أَصَالَة غَائِبَةٌ عَنْ الْوَعْي .

وضعاها عَلَى سَرِيرٍ يَبْعُد متراً عَن سَرِيرِي ، حَاوَلَت الِاعْتِدَالِ فِي جلستي لأشاهد مَا يَحْدُثُ فَقَد اِنْتاب قَلْبِي قَلِق وَخَوْف أنسوني كُلّ أَحْدَاث الْيَوْمَ قَبْلَ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ . . .

رَأَيْت الطَّبِيبَ يُزِيل حِجَابَهَا لنتفاجأ جميعاً بِطَبَقَة كَبِيرَةً مِنْ المناديل الورقية المليئة بِالدِّمَاء ، وَجُرْح يُنْزَف مِنْ وَقْتِ طَوِيلٌ فِي فَرْوَة رَأْسَهَا مِنْ الْامامِ .
.
تَحَدّثَت إحْدَى الممرضات :

-يبقى لِمَا جِت بجوزها وَسَأَلْت عَلَى مَكَان الْحَمَّامِ كَانَ علشان تُخْفِي الْجُرْح وَتَكْتُم الدَّم .
تساءلت بعفوية لَا تُنَاسِبُ الْمَوْقِف :

-جوزها مَيْن ؟

نَظَرُوا لِي جميعاً بتعجب حَتَّى الطَّبِيبُ الَّذِي كَانَ يَتَفَحَّص جَرْحُهَا بقلق ، نَظَرَ إلَيّ وَسَأَل :

-هو حَضَرَتْك مَش جَوَّزَهَا ؟

أَيْقَنْت أَنَّهُم يقصدونني ، أَمَات بِلَا فنظرن الممرضتين لبعضهما الْبَعْض وَعَاد الْجَمِيع لَهَا دُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ أَحَدٌ إِلَيّ ، كُنْت أُرَاقِب وأتمنى دَاخِلِيّ أَنْ تَمُرَّ الْأُمُور بِسَلَام ، قلقاً ، أَتَذْكُر مشاهدي مَعَهَا مِنْ بَعْدِ الْحَادِث وَانْظُر إِلَيْهَا ليرتجف قَلْبِي وَيَزْدَاد خَوْفِي ، تَتَرَدَّد كَلِمَاتِهَا لِي وَأَنَا مُلْقًى أَمَامَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَيَنْقَبِض قَلْبِي . . . مَنْ أَنْتَ يَا أَصَالَة ؟ وَمَا هِيَ قِصَّتَك ؟

لِمَاذَا أَنْت دُون عَنْ الْجَمِيعِ تَسْتَطِيعِين السَّيْطَرَة عَلَى تَفْكِيرِي ؟ وَمَا الَّذِي جَعَلَكَ تنتظرين لِأَجْلِي لأعوام ؟

-مهاب ! أَنْت كُوَيِّس ؟

الْتَفَت مسرعاً عَلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ وَلَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي جَعَلَنِي اتَّجَه نَحْو سَرِيرُهَا وَأَغْلَق ستارته بِسُرْعَة قَبْلَ أَنْ يَرَاهَا صَدِيقِي بِدُون حِجَابَهَا وتتمدد فَوْق سَرِير فَاقِدَةٌ للوعي !

اعْلَمْ أَنَّ الْجَمِيعَ تَعْجَبُوا مِنْ رَدِّهِ فَعَلَيّ . . فَأَنَا أيضاً تَعَجَّبْت ! !

-حسام ! أَنْت أزاي عَرَفْتَ أَنِّي هُنَا ؟

-بتصل عَلَيْك أَسْأَلُك لَو رُوّحَت الْكَافِيَة اجيلك بَعْدَ مَا ظبطت أُمُورِي فِي الْبَيْتِ ، لَقِيت بِنْت بترد عَلِيَّا وبتبلغني إِنَّك هُنَا وَإِنَّك عَامِلٌ حَادِثَة ، آيَه حَصَّلَ يَا صَاحِبِي ؟

جَلَسْنَا سوياً عَلَى سَرِيرِي وَعَيْنِيٌّ لَا تُفَارِقُ سَرِيرُهَا الْمُخْتَفِي عَنْ أنظاري خَلْف السَّتَّار العَازل بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، يَتَحَدَّث إِلَيّ حُسَام وَلَا أَسْتَطِيعُ التركيز مَعَه ، فَقَط أُرَاقِب ذَهَاب الممرضات بِبَعْض الْقُطْن الْمَلِيء بِالدِّمَاء وَأَيَّابِهِم بأدوات طِبِّيَّةٌ والمحلول ، سَأَل حُسَام :

-هو اللَّيّ وَرَا السِّتَارَة دا حَدّ تَبِعَك ؟

نَظَرْت إِلَيْهِ وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أُجِيب ، فَقَط اكْتَفَيْت بِالْإِيمَاء بِالْمُوَافَقَة وَاعْلَم سُؤَالِه الْقَادِم فَأَجَبْت قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ :

-حد مَا تعرفهوش..

خرج الطبيب من خلف الستار لأقف بصعوبة مستندا على ذراع حسام واسأله:

-ايه الأخبار يا دكتور؟

--ماتخفش إحنا علقنالها محاليل وخيطنا الجرح وفوقناها وهنسيبها ترتاح، بس لازم حد من أهلها يجي عشان ياخدوها لما حالتها تستقر..وأنت أقعد أرتاح وافرد رجلك ماينفعش تقف عليها على الأقل الفترة دي.

نظر لصديقي ووجه إليه الحديث:

-خد بالك منه هسيبه في أمانتك لحد ما اجي اطمن عليهم هما الاتنين تاني...

نظر تجاه سريرها وعاد إلي بنظرته وابتسم قائلاً:

-مش هوصيك عليها..خلي بالك منها لحد ما أجي

رحل الطبيب وعدنا لجلستنا، سأل حسام مجدداً:

-هي مين اللي الدكتور بيتكلم عنها دي؟

قبل أن أفكر في إجابة مناسبة اتت إحدى الممرضات واقتربت منا بشدة واخفضت صوتها وتقول:

-يبختك بحبها ليك، معرفش سندتك وجابتك المستشفى لوحدها أزاي مع صاحب التاكسي، وهي في حالتها دي، وخبت عننا جرحها علشان نركز معاك..

أخفضت صوتها أكثر وأضافت:

-أصل لما جت قالولها ان كل دكاترة الطوارئ مشغولين ومافيش إلا دكتور سيد بس اللي هيفضى كمان دقيقة فتلاقيها ياحبة عيني خافت عليك وقالت تخليه يلحقك أنت الأول..ربنا يخليكوا لبعض.

-6

بَدَأَت الْخُيُوط تترابط قليلاً . . عَلَى مَا أَظُنُّ .

رُبَّمَا أَصَالَة تَكُنْ لِي مَشَاعِر خُفَّيْه وانتظرتني لأبادلها تِلْك الْمَشَاعِر وَأَنَا لَا أَعْلَمُ . . لَكِن يَظَلّ السُّؤَالِ الَّذِي لَا أَجِدُ أَجَابَه لَه مَهْمَا بَحَثْت دَاخِلٌ عَقْلِيٌّ ، كَيْف يُوجَد لَنَا مُحَادَثَة وَلَمْ يَسْبِقْ لِي محادثتها ؟ وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ تَصَدَّق وُجُودِيٌّ ؟

حَاوَلَت تَخَيَّل مُسَاعَدَتِهَا لِي وخوفها عَلِيّ ، وآلامها الَّتِي قاومتها لِأَجْلِي لَمْ أَسْتَطِعْ ، كَيْف لَهَا أَنْ تَفْعَلَ كُلُّ هَذَا لِشَخْص لَا تَعْرِفُهُ . . أَو تَعْرِفُه ! حقاً سأصاب بِالْجُنُون مِنْ هَذَا التَّنَاقُضُ .

طَلَبَتْ مِنْ حُسَامِ أَن يُوصِلَنِي لستارة سَرِيرُهَا وَيَعُود لِيَجْلِس وَيَتَّصِل بِرَقْم صديقتها مِن هاتِفِي ليخبرها بِمَا حَدَثَ لِتَبْلُغ أَهْلِهَا ، وَاسْتَنَدْت عَلَى طَرَفِ سَرِيرُهَا وَجَلَسَت وَأَنَا أَشْعَر بِالْأُمّ قَدَمِي تدبدب بنبض قَوِيٌّ دَاخِلٌ رَأْسِي الْفَاقِد للإتزان ، انْتَبَهَت إلَى وُجُودِيٌّ فَنَظَرْت إلَيّ بِضَعْف ، حَاوَلْت أَنْ تَجْلِسَ فمنعتها . . طَالَت نظرتي الصامتة لَهَا وَلَمْ أَسْتَطِع مَنَع ابتسامتي الْمُقْتَرِنَة بِوُجُودِهَا دائماً . . أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ظُهُورِهَا أَمَامِي مِنْ جَدِيدٍ أبهجني ، رَغِم أَنَّه أَرْبَكَنِي إلَّا أَنَّنِي اِرْتَاح عِنْدَ رُؤْيَتِهَا ، وَلَا أَدْرَكَ سَبَبَ هَذَا الارْتِيَاح الَّذِي يُصَاحِب وُجُودِهَا .

-ألف سَلَامِه عليكي ، إنْ شَاءَ اللَّهُ تَقُومِي بِالسَّلَامَة وتقفي تزعقيلي فِي الشَّارِعِ تَأَنِّي .

ضَحِكْت بِإرْهَاق ، فشاركتها الضَّحِك ، حقاً شَعَرْت فَوْر ضحكتها وَكَأن ثلوجا كَثِيرَةٌ ثَقُلَت فَوْق قَلْبِي اذابتها ضحكتها . . كِدْت أَقُول لَهَا بِصِدْق بِأَنَّ تِلْكَ الضُّحَكَة الصَّغِيرَة أَصْلَحت الْكَثِير وداوت بَعْضُ مَنْ التَّوَتُّرِ الَّذِي تَدْخُلُ بَيْنَنَا . . لَكِنَّنِي بدلاً مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ :

-ياااه ضحكتي أخيرًا ، دا أَنَا كُنْت خَايِفٌ أَمُوت وأنتي مَش طايقاني كَدِّه .

انهت اِبْتِسامَتَها ولمعت عَيْنَاهَا بِدُمُوع حَبِيسَة فلحقتها بِقَوْلِي :

-بس أَنَا مَبْسُوطٌ . . . شوفي مَش اتدغدغت أَهُو ومش هنفع تَأَنِّي ! بِس مَبْسُوطٌ عَارِفَة لَيَّه؟

سَأَلْت :

-ليه ؟

--علشان لَوْلَا الْحَادِثَة دِي كنتي بتروحي الْبَيْت ومش هلحق أَعْرِف مِنْك اللَّيّ عايز أَعْرِفُه .

-ومين قَالَ إنْ فِي حَاجَةٍ الْمَفْرُوض تَعْرِفُهَا ؟

--أنتي . .

صَمَتَت وَتَحَدَّثَت أَنَا :

-أنا بهزر ، أَكِيدٌ دَه وَقْت مَش مُنَاسِبٌ لِأَيّ كَلَام بِس دَه مَش آخَر كَلَامُنَا أَكِيدٌ .

قاطعتني :

-كل هَمَّك يَعْنِي تُعْرَف اللَّيّ أَنْت شوفته دَه آيَه ؟ عشان كَدِّه مَش هيكون آخِرُ كَلَامِ بَيَّنَّا ؟ لَا خَلَاص أَنَا هقولك اللَّيّ أَنْت عايز تَعْرِفُه دلوقتي مَش هتفرق .

اجبتها بِصِدْق حَقِيقِيٌّ :

-تصدقي بِاَللَّه ! أَنَا دلوقتي مَش فُضُولِيٌّ إنّي أَعْرِف الحِوَار اللَّيّ أنتي مخبياه قَد مَا شُعُورِي مَش عَارِف يُقَاوِم تَأَنِّي إنّي أَعْرِفُك وَأَبْطَل تَرَدَّد .

نَظَرْت إلَيّ بتعجب وَلَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّهَا مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ مِنْ النِّسَاءِ ، اللَّوَاتِي لَا يفوتهن كَلِّمَهُ فِي حَدِيثَك فيستفسرن عَن أَشَدُّهُم إحراجا بِالنِّسْبَة لَك . . يَخْتَارُون الْكَلِمَاتُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ فَمَك رغماً عَنْك وتندمت فَوْر قَوْلُهَا وَتَسْأَلُك ، مَاذَا تُقْصَد بِقَوْل كَذَا وَكَذَا ؟

-تقصد آيَه بِـ مَش عَارِف تُقَاوِم تَأَنِّي وَتَبْطُل تَرَدَّد ؟

لَمْ أَكُنْ أَعْلَم أنَّنِي أخْجَل لِهَذِه الدَّرَجَةِ الَّتِي أَشْعَر فِيهَا أنَّنِي مُحَاصِرٌ ، وَتَزْدَاد حَرَارَة جَسَدِي فَجْأَة ، وَانْظُر بعيداً عَن عَيْنَاهَا الَّتِي تَحَقَّقَ مَعِي وتربكني

-لما تفوقي وَتُبْقِي كويسة أَكِيدٌ هيكون لَيِّنًا كَلَام تَأَنِّي ، بِس أَتَمَنَّى نَخْرُجُ مِنَ هُنَا فاتحين صَفْحَة جَدِيدَة ، وَنَنْسَى الشَّدّ والجَذْب اللَّيّ حَصَل بَيَّنَّا النهارده .

--مهاب . . هُوَ أَنَا صاحية ؟

-مش فاهِم ؟ !

--أنا صاحية وَلَا أَنْتَ بتتكلم فِي حِلْمٍ ، وَلَا أَنَا اتحبست فِي خَيَّالِيٌّ ؟

صفعت جَبِينِي بِكَفِّيّ غَيْرَ مُتَذَكِّرٍ لضمادته وَالْأَمَة فتألمت قليلاً وَقُلْت :

-تاااني يَا أَصَالَة ؟

أَنَا نَفْسِي أَفْهَم أنتي لَيَّه مَش قَادِرَة تَصَدَّقِي إِنَّك صاحية وَأَنَّ كُلّ اللَّيّ بِيَحْصُل دَه حَقِيقِيٌّ ؟

دائماً مَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَاحِبُ الْأَوْقَات الْغَيْر مُنَاسَبَةٌ ، فَقَد قاطعني صَوْتَه مُنَادِيًا مِنْ خَارِجِ السَّتَّار ، أَجَبْته متأففا :

-نعم يَا حُسَام . .

--والد الآنِسَة أَصَالَة ووالدتها وَصَلَّوْا وداخلين حالاً .

******

"أصالة"

كَان يوماً لَا يُصَدَّقُ وَسَط الْكَثِيرِ مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ فِي حَيَاتِي .

لَا أَعْلَمُ أَثْقَل رَأْسِي هَذَا مِنْ أَثَرِ جَرَحَه ، أَم أَنَّه التَّفْكِيرُ الَّذِي تَزَاحُم دَاخِلٌ عَقْلِيٌّ ؟ أَتَى والداي ليأخذاني مِن الْمُسْتَشْفَى وَكَان القَلَق عُنْوَان تعلنه ملامحهما الَّتِي اسْتَقْبَلَتْنِي ، بَعْدَمَا اِبْتَعَد مَهَابّ عَن سَرِيرِي وَاسْتَنَد عَلَى ذِرَاع صَدِيقِه ليستقبلهما . . كَانَ وَقْتَ مَلِيَّئا بالمشاعر الجياشة الَّتِي لَمْ أَكُنْ اِهْتَمّ لَهَا ؛ فَقَدْ كَانَتْ نظرته الَّتِي تحاصرني مِنْ حِينِ لآخَرَ تَجْعَلْنِي لَا أَسْتَطِيعُ التركيز فِي مَا يُقَالُ . . الْيَوْم شُعُورِي بنظرته اخْتَلَف . . قديماً كَانَت تربكني ، وتخجلني وَأَرَى فِيهَا كَم أَنَّه مَغْرَم صَامَت ، لَكِن الْيَوْم اخْتَلَف دَاخِلِيّ كُلِّ شَيْءٍ . .

الْيَوْمَ لَمْ أَصْدَق أَحَدٌ ، لَم أَنْصَت لِحَدِيث قَلْبِي ، وَلَم انْتَبَه لتوسلات عَقْلِيٌّ بِالِانْتِظَار أَكْثَر فَقَد اتَّخَذَت قراري ، انْتَهَى مخزوني مِن الِانْتِظَار . . فَلَن انْتَظَرَ مَنْ لَمْ يُطِيق مَعِي صبراً وَأَنَا فَنِيَت مِنْ عُمْرِي أَعْوَام مِنْ الصَّبْرِ لِأَجْلِه

كَانَ الْوَقْتُ المتبقي مِن فَتْرَة وجودنا فِي الْمُسْتَشْفَى كَافِي لِيَتَعَرَّف كلاً مِن والداي عَلَيْه ، وَعَلَى صَدِيقِه الْمَرِح الَّذِي خَفِّفْ عَنَّا بلطافته ضَغَط الْيَوْم ، أَخَذَه صَدِيقِهِ فِي آخِرِ الْيَوْمِ بِسَيَّارَتِه ، وَذَهَبَت مَع والداي فِي سَيّارَةِ ابْنِ عَمِّي الَّذِي اتَّصَلَ بِهِ وَالِدِي لِيَأْتِي لينقلنا لِلْمُنْزَل .

بَعْدَ نَوْمٍ طَوِيلٍ لَمْ أَشْعُرْ فِيهِ بِأَيِّ شَيْءٍ غَيْرُ أَنَّنِي أَخَذَت مُهْلَة طَوِيلَةٍ مِنْ الِابْتِعَادُ عَنِ ضَغُوط الْحَيَاة ، اسْتَيْقَظَتْ فِي الْعَاشِرَةِ وَالنِّصْف صباحاً عَلَى صَوْتٍ هاتِفِي الْمُزْعِج ، مَنْ ذَا الَّذِي يَتَّصِلُ فِي وَقْتِ مُبَكِّرٍ ؟

جَلَسَت بِصُعُوبَة وَأَنَا أَسْنَد رَأْسِي بِيَدِي وأتأوه فَقَد بَدَأ يَزُول تَأْثِير الْمَسْكَن ، أَمْسَكَت هاتِفِي وَإِذَا بِي أَجِد اسْمُه يُنِير شاشته ، كُنْت فِي حَالَةِ مِنْ عَدَمِ الِاسْتِيعَاب فَأَقْسَم أَنَّنِي كُنْت اعْتَقَدَ أَنَّ كُلَّ مَا فَاتَ كَانَ مُجَرَّدَ حَلَم ، حَتَّى أَنَّنِي نَسِيَت قراري بِصَرْف النَّظَرِ عَنْ انْتِظَارِي لَهُ وَوَجَدْت يَدَي المرتجفة تضغط زِرّ الرَّدّ . . .

-ألو . .

خطفتني تِلْكَ الْكَلِمَةُ وشعرت بِأَن انفاسي تختنق مِنْ الْخَجَلِ وَحَرَارَة جَسَدِي ارْتَفَعَت ، كَانَ صَوْته نَاعِسٌ مُسْتَيْقِظ للتو مِنْ نَوْمٍ طَوِيلٌ مُرْهَق ، تَحَدّثَت وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتِي المختنق خجلاً ، فعاودت الْإِجَابَة فَسَمِعَنِي أخيرًا

-صباح الْخَيْر يَا أَصَالَة .

--صباح النُّور يَا مَهَابّ .

-لسه صاحِي قولت أطمن عليكي عَامِلِه آيَه دلوقتي ؟

اِبتسَمَت وجسدي يَرْتَجِف مِنْ قُوَّةِ حَماسِي ، تَذَكَّرْت مَا كَانَ يُحَدِّثُ مِنْهُ لَيْلَةَ أَمْس فتعمدت إظْهَار الجِدِّيَّة إمَامِه :

-أحم أَحَم . . الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَأَنْت كِمَّان عَامِلٌ آيَه ؟

--أنا وَاَللَّه لسه فِي حَدّ قَاعِدٌ فِي دِماغِي ومش عَارِف الدكتور وَهُو بيلفهالي بَشَّاشٌ نَسِي حَدّ جَوّا مِن طاقَم التَّمْرِيض وَلاَ آيَه !

لَمْ أَتَمَالَك نَفْسِي وانفجرت ضَاحِكَة فِي أُذُنَيْهِ ، ليشاركني الضَّحِك فَكَان قاسياً بِمَا فَعَلَهُ ، فَأِنَّا لَمْ أتخطى تِلْك آل "ألو" حَتَّى أَسْتَطِيع اسْتِقْبَال تِلْك الضُّحَكَة الَّتِي اِحْتَضَنَت قَلْبِي فَوْر سَمَاعِهَا .

صُمْت حَلّ لبرهة ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ وَكَأَنَّه يتمطى وَبَعْدَهَا يَقُولُ مَا أَرْبَكَنِي وأدهشني :

-طيب هُوَ أَنَا نَسِيَت أَشْكُرُك عَلَى وقفتك جَنْبِي أمبارح ، وَالْحَقِيقَة أخويا الْكَبِير ومراته حابين يجوا يشكروكي بنفسهم ويطمنوا عليكي ، فَهَلْ فِي مُشْكِلِهِ أَنَّهُم يجوا النهاردة ؟

عَجَزَتْ عَنْ النُّطْقِ وَلَمْ أَكُنْ أَصْدَقَ مَا قَالَهُ ، أَنَا أَشْعَر أَنَّنِي احْتَاج لِأَحَدِهِم ليذكرني كُلّ دقيقتين أَنَّنِي فِي وَاقِعِ ، وَانْتَهَت مَرْحَلَة الْأَحْلَام وَهَا نَحْنُ فِي مُوَاجَهَةِ الْوَحْش !

-أصالة ! أنتي سمعاني ؟

--أيوا سمعاك .

-في مُشْكِلَةٌ يجوا النهارده ؟

--لا طبعاً يُنَوّرُوا فِي أَيِّ وَقْتَ بِس لَيَّه تتعبهم أَنَا كويسة ومش مُحْتَاجَةٌ شُكْر ؛ دَه وَاجِبِي .

شَعَرْت بِهِ يَبْتَسِم وَهُوَ يَتَحَدّثُ :

-لا طبعاً لَازِمٌ يجوا ، ومافيش تَعِب أَكْبَرُ مِنْ اللَّيّ تعبتيه معايا . . .

تِلْكَ الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةَ رَغِم أَنَّنِي أَعْلَمُ مَا يَقْصِدُهُ بِهَا إلَّا أَنَّهَا وصلتني بمقصد آخَر وَحْدِي فَقَط أَعْلَمُه جيداً ، كُنْت أَرْغَبُ فِي أَنَّ أَبْكِيَ وَأَخْبَرَه كَم أَنَّنِي مُتْعِبُه ، كَم أَهْلَكَنِي انْتِظَارُه . . وأحكي لَهُ عَمَّا واجهته والاتِّهامات الْمُوَجَّهَة لِي لتصديقي بِأَنَّهُ هُوَ مِنْ انْتَظَرَ قُدُومِه . .

قَبْلَ أَنْ يَغْلِقَ الْمُكَالَمَة دَخَلَت وَالِدَتِي لِتَطْمَئِن عَلِيّ ، وَعِنْدَمَا عَلِمْت أَنَّهُ عَلَى الْهَاتِف أَخْبَرْتنِي أَنَّ أَفْتَحَ مُكَبِّرُ الصَّوْتِ ، تَحَدّثَت إلَيْهِ وَأَنَا اسْتَمَعَ إلَى حَدِيثُهُمْ فِي صُمْت كَان يَفُوتَنِي بَعْضُهُ مِنْ تركيزي فِي تَفْكِيرِي فِي شَيْءٍ آخَرُ ، حَتَّى صعقت فَجْأَة عِنْدَمَا سَمِعْت وَالِدَتِي تَقُولُ لَهُ :

-طيب ماتيجي معاهم وتتغدى معانا يَا مَهَابّ .

--مش الْمَرَّة دِي ، أَنَا كَدِّه كَدِّه جايلكم تَأَنِّي . .

نَظَرْنَا بَعْضُنَا لِبَعْضٍ أَنَا وَوَالِدَتِي وَأَنَا أَضَع يَدِي عَلَى فَمِي أَمْنَعُ نَفْسِي مِنْ الصُّرَاخ ، أَتَذْكُر ذَلِك الْمَشْهَد جيداً فَقَد رَأَيْته لأعوام فِي مَنَامِي . . وَقَفْت وَالِدَتِي تَنْظُر لِي برعب وَتَرَكْت الْهَاتِف فِي يَدِي ، وَخَرَجَتْ مِنْ الْغُرْفَةِ مُسْرِعَة ولازلت عَلَى وَضْعِيٌّ ، أُغْلِقَت الْخَطِّ فِي وَجْهِة وَحَاوَلْت أَن أَتَنَفَّس بِشَكْل طَبِيعِيٌّ وَلَمْ أَقْدِرْ . . تِلْكَ الْجُمْلَةِ كَلَّفْتَنِي الْكَثِير ، هَلْ أَنَا دَاخِلٌ حَلَم ؟ نَعَمْ مَنْ الْمُؤَكَّدِ هَذَا لَيْسَ بِوَاقِع فَهُو اعْتَاد أَحْلاَمِي . . . أَتَى اتِّصَالِه مِنْ جَدِيدٍ ويتساءل ودموعي تَتَسَاقَط بِصَمْت :

-أيه حَصَل ؟

تنحنحت وَكَذَبَت :

-الشبكة بتفصل أَوْقَات ، بِتَعَذُّر .

--ولا يهمك ، الْمُهِمّ إنّي اطمنت عليكي . . خَلَاص كَدِّه هبلغهم بأنكم منتظرنهم ، هسيبك أَنَا وَأَكْمَل نَوْم .

أغلقنا الْمُكَالَمَة وَوَجَدْت وَالِدَتِي تَدْخُلُ مِنْ جَدِيدٍ ، سَأَلْتُهَا :

-خرجتي بِسُرْعَة لَيَّه؟

تَنْظُر إلَيّ بِريبَة ، قَالَت :

-من الخضة كَان لَازِمٌ أَدْخَل الْحَمَّام . . مُسْتَحِيلٌ الْجُمْلَتَيْن بِالنَّصّ دَه ! !
ضَحِكْت رغماً عَنِّي ، فَتِلْك وَالِدَتِي الَّتِي دائماً مَا كَانَتْ تَسْأَلُنِي
"ليه وَاثِقَةٌ آوِي كَدِّه أَنَّه جاي وَهُو مافيش مِنْهُ أَيْ إشَارَة لِدَه ؟ "
كُنْت حِينِهَا أُجِيب "أنا وَاثِقَةٌ فِي إشَارَاتِ رَبَّنَا لِيَا ومتأكدة أَنَّه هيجي"
كَانَت تختتم حَدِيثَنَا بِجُمْلَتِهَا الشَّهِيرَة "دي لَوْ حَصَلَتْ بِجِدّ هخاف مِنْك وَنَبْقَى نعملك مَقَام بَقِى وَتُبْقِي الشيخة أَصَالَة لِجَلْب الحبيب"

-شكلي هبدء أُصَدّقُك . .

اِبتسَمَت بِمَرَارَة وَخَوْف ، فَأَنَا الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِر وَتَصَدَّق ، أَصْبَحْت بِلَا أَمَلٍ رَغِم دُخُولِه الْوَاقِعِيّ إِلَيّ حَيَاتِي .

--تصدقي إيهِ يَا مَامَا دِي صَدَفَة مَش اِكْتَر . . يللا قَوْمِي جهزي الْأَكْل علشان النَّاس اللَّيّ هتيجي دِي ونادِيلي سهيلة بِنْتك اللَّيّ نسياني دِي علشان تُسَاعِدُنِي أَغْيَر هدومي .

أَتَانِي صَوْتَهَا الْمُزْعِج بَعْدَمَا فزعتني بِفَتْحِهَا لِبَاب غُرْفَتِي بِعُنْف :

-أنا أَقْدِر أَنْسَاكُ يَا قَمَر ؟ بِس مَيْن جاي عِنْدَنَا النهارده ؟

أَجَابَت وَالِدَتِي بِحَمَاس :

-أخو مَهَابّ ومراته جايين يطمنوا عَلَى أَصَالَة .

نَظَرْت إِلَيّ بِصَدْمَة وَلَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَانِي شُعُور التَّحَدِّي وَالشَّمَاتَة ، وَلَا شَيْءَ يَدُلُّ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا كُنْتَ أُحَاوِل إِثْبَاتِه مُنْذُ عَامَيْنِ ، لَكِنَّ مُجَرَّدَ دهشتها جَعَلْتنِي أُنْظُر لَهَا بتحدي

-مهاب اللَّيّ هُو مَهَابّ ؟

قُلْتَ وَأَنَا اريح جَسَدِي بِالْكَامِل لِلْخُلْف وابتسم بِثِقَة :

-آه مَهَابّ اللَّيّ هُو مَهَابّ .

كُنْت أَظُنُّ أنَّنِي انتصرت لَكِنَّهَا تَصِر عَلَى إسْقَاطِ دُمُوعِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْفَتِح هَذِه الصَّفْحَةُ مِنْ كُتَيِّب حكايتي مَعَهَا

-وأنتي مَالِك مَبْسُوطِه كَدِّه لَيَّه ومفتخرة وَلَا كَأَنَّهُم جايين يطلبوكي لِلْجَوَاز ، دُوَلٌ جايين يشكروكي عَلَى وقفتك جُنُبٌ الرَّاجِل بِس بِطَرِيقِه شِيك . . أنتي لسه هتصدقي الْهُبَل اللَّيّ أنتي عايشة فِيهِ دَه ؟

صَرَخَت فِيهَا بِأَلَم حَقِيقِيٌّ غَيْر مهتمة لآلام رَأْسِي :

-مش هُبَل ، ومش بِتَوَهُّم ، وَكُلّ كَلَامِي اللَّيّ قُلْته حَقِيقِيٌّ وهيحصل ونتجوز وهتشوفي .

-7

"مهاب"

أُغْلِقَت الْمُكَالَمَة وَنَظَرْت لرقم هاتفها وابتسمت ، أُغْلِقَت إِضَاءَة الْهَاتِف وَوَضَعَتْه جِوَارِي عَلَى الْوِسَادَةِ وَلَم أَكَفَّ عَنْ الِابْتِسَام ، تَفَاصِيل الْمُكَالَمَة تُعَاد بِصَوْتِهَا الْمُنْخَفِض يترددان دَاخِلٌ رَأْسِي وَمَازِلْت اِبْتَسَم ، أُفَكِّرُ فِي اللُّغْز المختبئ خَلْف هَذِهِ الْبَرَاءَةُ ، مَا الَّذِي تُخْفِيه يَا صَاحِبِه الْوَجْه الْبَرِيء ؟

أَخَذَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ أُسَبِّح فِي تَفْكير عَمِيق ، أُحَاوِل تَخْمِينٌ مَا تُخْفِيهِ عَنِّي وَكُلَّمَا اقْتَرَبَتْ مِنْ الْوُصُولِ لِشَيْء مُقَنَّعٌ ، يَهْرُب كُلِّ شَيْءٍ مِنْ عَقْلِيٍّ ؛ فَكُلُّ مَا يَأْتِي فِي مخيلتي أَشْيَاء عَجِيبَةٌ لَيْسَ لَهَا أَسَاس مِن وَاقِعٌ رُوتِينِي نعيشه .

كُنْت سأكمل نَوْمِي لَكِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ ، جَلَسَتْ عَلَى سَرِيرِي وَفُتِحَت تَطْبِيق الفيس بوك الْخَاصّ بِي ، وَدَخَلَت صَفْحَتِهَا أَشَاهِدٌ تصاميمها الَّتِي أَظُنّ أنني حَفِظْتهَا ، فَقَد أَعْجَبَنِي مَا تَقَدَّمَهُ لَكِنَّنِي لَسْت مِنْ هَوَاة الِاعْتِرَاف بِذَلِك . . أَرَى أَنْ زَحَام المعجبين حَوْلَهَا لَا يناسِبُ طِباعِي ، فَلَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ وأتحدث بِالْكَثِيرِ مِنْ الْقُلُوبِ والفراشات الْوَرْدِيَّة عَلَى العلن . . . أَفْضَلُ أن أَرَى اِبْتِسامَتَها وخجلها فِي أعينها عِنْدَمَا أَخْبَرَهَا وَهِي أَمَامِي كَم أَنَّهَا مَوْهُوبَةٌ وَكَم أنني مُهْتَمٌّ لِتَقَدُّمِهَا . . .

لَاحَظَت أَنَّهَا تَتَغَيَّب كثيراً مُنْذ فَتْرَةً طَويلَةً عَن إنجازاتها الَّتِى اعْتَدْتهَا مِنْهَا فِي أَوَّلِ معرفتي بِهَا ، وَلَا أَعْلَمُ السَّبَب لَكِنَّنِي أَثِق أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَسْتَسْلِم . . . .

اسْتِسْلَام . . . هَذِهِ الْكَلِمَةِ دائماً مَا تَذْكُرُنِي بِهَا !

انْتَقَلَتْ إلَى صَفْحَتِهَا الشَّخْصِيَّة وَأَوَّلُ مَا ركضت إلَيْه أَصَابِعِي هُو الضَّغْطِ عَلَى صُورَتِهَا الشَّخْصِيَّة ، لتفتح وَتَمْتَلِئ شاشَة هاتِفِي بِصُورَتِهَا ، وابتسامتها الرَّقِيقَة .

شَعَرْت بِرَغْبَة فِي التَّعَرُّف عَلَى هَذِهِ الفَتَاة الْغَامِضَة أَكْثَر ، وَالْحَقِيقَة أنني لَا أَعْلَمُ كَمْ مَضَى مِنْ وَقْتِ وَأَنَا اتفحص محتويات صَفْحَتِهَا الشَّخْصِيَّة ، لَكِنَّنِي أَشْعَر بغصة تُؤْلِم قَلْبِي . . كُلَّمَا نَظَرَتْ لَهَا وأتتني نَبْضِه السَّعَادَة ولازمتها رَغْبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ مِنْ أهديها ثروتي مِنْ الْمَشَاعِر ، كُلَّمَا أَتَتْنِي تِلْك الْغُصَّة المؤلمة . . . أَشْعُرُ أَنَّ الْوَقْتَ ضِدِّي ، كُلّ شَيْءٍ ضِدِّي . . . أَظُنّ أَنَّنِي مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَأُجْبِر نَفْسِي عَلَى الِانْتِظَار أَكْثَر ، فِي النِّهَايَةِ لَا أَشْعُرُ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ صحيحاً إنْ لَمْ أَكْمَل مَا بَدْأَتِه . .

فَكَّرْتُ فِي هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَات الْمُمَرِّضَة حَقِيقَة ؟ هَل أَصَالَة تحبني ؟ وَهَل الِانْتِظَار الّذِي تَتَحَدّثُ عَنْهُ هُوَ انْتِظَار أَن أبادلها شُعُورُهَا ؟

كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ أَشْعَر بِنَدَم شَدِيدٌ ، فَأَنَا اقاوم رَغْبَتِي فِي التَّقَرُّب مِنْهَا لأعوام ، لَدَيّ أسبابي لَامْتَنَع عَنْ ذَلِكَ . . . لَكِن سألوم نَفْسِي لَو أَنَّنِي تَأَكَّدَت بِأَن توقعي صحيحاً ؛ فأصالة لَيْسَ لَهَا ذنباً فِي مَا انْتَظَرَه . . لتنتظر كُلُّ ذَلِكَ الْوَقْتِ

وَلَكِن لَحْظَة ! لِمَا ستنتظر أَكْثَرَ مِنْ عَامَيْنِ شَخْصٍ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ أَيْ شَيْءٍ يُخْبِرْهَا بِأَنَّه يُحْتَفَظ لَهَا بمشاعر دَاخِلَةٌ ؟ لَا لَيْسَ منطقياً أَبَدًا لاَبُدَّ أَنْ هُنَاكَ أَمْرٍ آخَرَ غَيْرِ ذَلِكَ .

******

"أصالة"

تَجْلِس مَيَّادَة بِجَانِبَي ، أَبْكِي أَمَامَهَا وأشكوا لَهَا كَلِمَات سهيلة وَبَاقِي صديقاتي عِنْدَمَا عَلْمَن بِمَا حَدَثَ ، ومهاجمتهم لِي جميعاً وإصراري عَلَى أَنَّنِي أَتَوْهُم

-أنا حَذَّرْت يَا أَصَالَة مِلْيُون مَرَّةٍ مِنْ إنَّكِ تتكلمي فِي الْمَوْضُوعِ دَه ، وَاهِي النَّتِيجَة . . أَيْ حَدُّ قَادِرٌ بيأسك ، ويحبطك وَيَتْعَب أَعْصَابِك . . كَان لَازِمُ يَعْنِي تحكيلهم ؟ أَهِي حَتَّى أُخْتَك مَش سايباكي فِي حَالُك .

مِنْ بَيْنِ دُمُوعِي طَرَأ لعقلي سُؤَالٍ لَمْ أُفَكِّرُ فِي سُؤَالِهِ لميادة مِنْ قِبَلِ ، سَأَلْتُهَا:

-ميادة هُو لَيَّة أنتي مصدقاني ؟

تَنَهَّدْت وأجابت :

-السؤال مَش بيتقال كَدِّه ، الْمَفْرُوض السُّؤَال يَكُون أَنَا لَيَّة لواحدي اللَّيّ مصدقاكي ؟ وُدَّه اللَّيّ لَازِمٌ تفهميه . . أَنَا اللَّيّ مصدقاكي لِأَنَّ أنا اِكْتَر حَدّ فِيهِم عاشرك وَحَفِظ تفاصيلك ، أَنَا لوحدي اللَّيّ مُصَدِّقَةٌ لِأَنَّ أنا لواحدي اللَّيّ عيشت معاكي تَفَاصِيل فِي حَيَاتِك غَرِيبَةٌ وماتتصدقش ، وَلَوْ كَانَ حَدُّ حَكَاهَا لِيَا وماعشتهاش وشوفتها بِنَفْسِي كَانَت رَدَّه فِعْلِهِم دِي هتكون رَدّ فَعَلَيّ أَنَا . . .

صَمَتَت لبرهة كُنْتُ أُفَكِّرُ فِيهَا فِي حَدِيثِهَا الْمُقْنِع والمطمئن ، ثُمّ أَكْمَلْت :

-يا أَصَالَة أَنَا مَش هنكر إنِّي بخاف مِنْك أَوْقَات ، وَفِي أَوَّلِ صداقتي بيكي كُنْت بخاف بِجِدّ مِنْك . . لَكِنِّي أَيْقَنْت خَلَاص بَعْدَ كُلِّ اللَّيّ شوفته معاكي سَوَاءٌ مِنْ احلامك اللَّيّ بتجيلك فِي الْوَقْتِ الصِّح ، وبتكون تفسيراتها جاية إشَارَةٌ ليكي ، أَوْ مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ حَصَلَتْ فِي حَيَاتِك سَأَلْنَا نفسنا لَيَّه حَصَل كَدِّه ؟ وَفَهِمْنَا بَعْدَهَا حُكْمُه رَبَّنَا وتفاجئنا . . . أنتي رَبَّنَا بيحبك يَا أَصَالَة وعلشان رَبَّنَا بيحبك أهداكي هِبَة عَظِيمَةٌ ماينفعش كُلّ اللَّيّ حواليكي يَسْمَعُوا عَنْهَا لِأَنَّ مُسْتَحِيلٌ يُصَدِّقُوا .

جَعَلْتنِي أَطْمَئِن فأبتسم وأعود لنشوة الْمُغامَرَة مِنْ جَدِيدٍ وأفكر ، فِيمَا سَوْفَ يُحْدِثْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ مَيَّادَة عَن توقعاتها نَظَرْت إلَيّ وَبَادَرْت هِي بِسُؤَالِي :

-تفتكري آيَه اللَّيّ جاي ؟

--كنت لسه هسألك نَفْس السُّؤَال ، أنتي مُتَوَقِّعَة أَيُّ حَاجَةٍ ؟

-بصراحة أَنَا مَوْضُوعٌ مَهَابّ دَه الْمَوْضُوع الْوَحِيد اللَّيّ مابعرفش أتوقعله حَاجَة ، وَمِنْ وَقْتِ اللَّيّ حَصَل أمبارح وحكيتيه لِيَا مُخْلِي عَقْلِيٌّ وَاقِفٌ عَن التَّفْكِير وَحَاسَّة إنِّي فِي فَلَم أَجْنَبِيّ ، أَو حِكَايَة اسطورية مَش حَيَاة عَادِيٌّ !

ضَحِكْت فَاهْتَزَّت رَأْسِي فألمتني ، ثُمّ أَشَرْت لَهَا أَنْ تُسَاعِدُنِي عَلَى الْجُلُوسِ ، وَبَعْدَمَا جَلَسَت أَرَحْت رَأْسِي لِلْخُلْف ، وَنَظَرْت لِسَقْف غُرْفَتِي وَتَحَدَّثَت :

-أنا بَقِى الْمَوْضُوع اخد معايا مُنْحَنَى غَيْر مُتَوَقَّع .

تساءلت :

-منحنى آيَه ؟

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَتَحَدَّثَت وَأَنَا أُفَكِّر :

-أنا حَاسَّة إنّي مشتتة اِكْتَر مِنْ الْأَوَّلِ ، خايفة أَصْدَق أَنَّهُ ظَهَرَ فِي حَيَاتِي تَأَنِّي وأعشم نَفْسِي بِأَيّ حَاجَةً مِنْ جَدِيدٍ ، كِمَّان غضبانة مِنْه وَحَاسَّة أَن كَرَامَتِي متهانة ، وَمُسْتَحِيلٌ أَقْبَل بَدَأ فَكُلّ دُوَلٌ اجْتَمَعُوا فِي قَرَارٍ . .

جَلَسَتْ فِي مواجهتي بتحفز ، وتساءلت :

-قرار آيَه؟

*****

"مهاب"

حَدَثَت أَبِي لأطمئنه فَقَدْ كَانَ قلقاً بِشِدَّة بَعْدَمَا أَخْبَرَتْه زَوْجَة أَخِي مَا حَدَثَ لَيْلَة أَمْس ، هاتفته وتحدثنا لِوَقْت صَغِيرٌ وَقَبْلَ أَنْ نغلق الْمُكَالَمَة سَأَلْتُه :

-بابا هُوَ أَنْتَ مافيش أَمَل تُعْرَف تَنْزِل أجَازَة الْفَتْرَة دِي خَالِصٌ ؟

--ما أَنْت عَارِف يَا مَهَابّ أَنَّهُ غَصَبَ عَنِّي مَش عَارِف أَنْزَل ، و أَن الفِكْرَة مَش فِي الْأَجَازَةِ وَأَنَّهَا فِي أَنِّي مَش مُتَاحٌ لِيَا رُجُوع دلوقتي ، الْأَوَّلُ كَانَتْ الشَّرِكَةُ هِي اللَّيّ مَنَعَانِي ، لَكِنْ بَعْدَ الكورونا أَنْت أَهُو شايف . . مَمْنُوعٌ السَّفَر .

كَيْف أَخْبَرَه أنِي افتقده بِشِدَّة ؟ كَيْف أَخْبَرَه بِحَاجَتِي لَه ؟ كَيْف أَبْكِي لَهُ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تَكْتَمِل إلَّا بِوُجُودِه ؟ كَيْف وَأَنَا الَّذِي قَارَبَ عَلَى الثَّلَاثِينَ وَلَسْت طفلاً وَيَجِب عَلِيّ التَّحَمُّلَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرُ حَتَّى وَإِنْ ثَقُلَ كاهلي .

هَذِهِ الْمَرَّةِ اسْتَسْلَمَت لِلصَّمْت أيضاً ، بَعْدَمَا أُغْلِقَت الْمُكَالَمَة مَعَه كَكُلّ وَقْت مَضَى أَشْعَر بِالْوَحْدَة . . لَمْ أَرْغَبْ فِي سيطرتها عَلَيَّ هَذِهِ الْمَرَّةِ خَاصَّة أنِي مُلْزَمٌ بِأَنْ أَبْقَى فِي الْمَنْزِلِ لِفَتْرَة مِنْ الْوَقْتِ وَهَذَا وَحْدَهُ كَافٍ لِيَجْعَلَهَا تتملكني بِالْكَامِل . . . سَمِعْت جَرَسٌ بَاب الشُّقَّة يرن وَبَعْد وَقْت قَلِيلٌ دَخَلَت رُقَيَّة ابْنِه شَقِيقِي الْكُبْرَى ، صَاحِبِه ال16 عَام ، تبتسم وتركض تُجَاه غُرْفَتِي تناديني

-تعالي يَا لمضة أُدْخُلِي .

--أيه رَأيُكَ فِي الطَّقْم دَه أَرْوَح بيه ؟

-أنتي هتروحي معاهم ؟

وُضِعَت يَدَيْهَا فِي خَصْرُهَا وتساءلت :

-وماروحش لَيَّه إنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ ماتخفش مَش هشبط فِي حَاجَةٍ .

ضَحِكْت ، وَقُلْت وَأَنَا أُشِيرَ لَهَا أَنْ تَجْلِسَ :

-معرفش جبتي اللماضة دِي كُلُّهَا مُنَيْن ؟ أَكِيدٌ مَش مِنِّي علشان أَنَا أَرَقّ وَأَهْدَى وَاحِدٍ فِي الْعَيْلَة .

--طبعاااااا

بَعْدَمَا أَنْهَيْنَا الضَّحِك قُلْت لَهَا :

-هنعمل اتِّفَاق ، بِس هيكون مَا بَيَّنَّا ، يَعْنِي مَا الاقيش أخوكي اللَّيّ فِي أُولَى ابْتِدَائِي كَاتَبَهُ فِي كُرَّاسَةِ الْإِمْلَاء الصُّبْح ، تَمَام ؟

غَمَزْت بِعَيْنِهَا الْيُسْرَى وَقَالَت بِثِقَة :

-عيييييب ، وَلَا كَأَنِّي سَمِعْت مِنْك حَاجَة .

****

"أصالة"

دَقَّت السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ مساءً وَدُقّ مَعَهَا جَرَسٌ بَاب شقتنا ، كَانَ الْمَسْكَنُ الَّذِي أَخَذَتْهُ مُنْذُ وَقْتِ لَيْسَ كبيراً قَد اخْتَطَفَنِي فِي نَوْمٍ سَرِيع ، لَم أُفُق إلَّا عِنْدَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ سهيلة تناديني وتخبرني بِأَن ضيوفي الْمُنْتَظِرِين قَدْ أَتَوْا . .

كُنْت أَعْرِفُهُمْ مِنَ قِبَلِ فَلَمْ أَشْعُرْ بالغرابة عِنْدَمَا رَأَيْتُهُم ، فَأَنَا أَعْلَم كُلُّ مَا يَدُورُ حَوْلَ مَهَابّ مُنْذ أَعْوَام ، لَكِنْ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُه هُو أنني سأشعر بِكُم تِلْك الْغَيْرَةَ مِنْ فَتَاة ال16عام الَّتِي تَأْخُذُ مِنْهُ اهْتِمَام اشتاق الحصول عليه منه ، نَعَمْ هَذِهِ رُقْيَةَ ابْنِه شَقِيقَةٌ والمفضلة لَهُ فِي هَذِهِ العَائِلَة . .

تُمَدّ يَدِهَا لتصافحني بِسَعَادَة بَالِغَة ، وَأَنَا بِفُتُور تَامّ امتلكني عِنْدَ رُؤْيَتِهَا وَمَعْرِفَة أَنَّ هَذِهِ هِيَ مِنْ تَجْلِسُ مَعَهُ أَكْثَرُ مِنِّي ، وتستطيع طَلَبَ مِنْهُ مَا تَشَاءُ ، وتتحدث إِلَيْهِ فِي أَيِّ وَقْتَ تُحِبُّه وَلَا يُمِلُّ . . . تِلْك هِي مدللته .

فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ أَكُنْ أتَخَيَّل أَن عائِلَتِه بِهَذَا الْكُمِّ مِنْ الرَّقِّيّ ، الْكَثِيرِ مِنْ الْبَسَاطَة وَالهُدُوء وَالْمَرَح ، يَسْتَطِيعُون مِلْء الْمَنْزِل بَهْجَة بوجودهم رَغِم بساطتهم . .

كُنْتُ أَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيّ أمَامُهُم وَانْظُر لثلاثتهم بِتَرْكِيز ، أُرَاقِب تفاصيلهم الَّتِى أحببتها . . حَتَّى أنَّنِي أقاوم مَحَبَّتِي لِتِلْك المدللة ، لَكِنَّهَا لَلْأَسَف تَشَبُّهُه فتجبرني عَلَى أَنَّ أَشْعَر باستلطاف تُجَاهَهَا . .

وَالْجَمِيع يَتَحَدَّثُون لبعضم الْبَعْض وُجِدَت رُقَيَّة تَنْتَقِلُ مِنْ جِوَارِ وَالِدَتِهَا وَتَأْتِي لِلْمَقْعَد الْمُجَاوِر لِي وتتحدث بِهُدُوء وابتسامة :

- عمو مَهَابّ قالي إنَّك بتعملي تصميمات حُلْوَةٌ آوِي ووراني شُوَيَّة مِنْهُم ، حَقِيقِيٌّ شَغَلَك جَمِيل جداً .

اِبتسَمَت لَهَا لَيْسَت مُجَامَلَة ، فَمُجَرَّد نَطَق اسْمُه أَمَامِي يَجْعَلَنِي اِبْتَسَم بِحُبّ حَقِيقِيٌّ

-شكراً ليكي يَا رُقَيَّة ، الْجَمِيل بيشوف كُلِّ حَاجَةٍ حَوَالَيْه جَمِيلَة وعلشان كَدِّه شوفتي تصميماتي جَمِيلَة زيك .

اِبتسَمَت رُقَيَّة بِحَمَاس ثُمَّ قَالَتْ لِي ، هُوَ أَنَا مُمْكِنٌ أَكُون تِلْمِيذُه ليكي وتعلميني ؟

تفاجأت فَسَأَلْتُهَا لأتأكد إنْ كَانَتْ تَقْصِدُ مَا فَهِمْته :

-أعلمك آيَه؟

--أصمم وَأَنْفَذ !

-بس أَنَا عُمْرِي مَا جَرِبَت اعْمَل كَدِّه ، وعلشان تعرفي تصممي مُلَابِسٌ لَازِمٌ تتعلمي الرَّسْمِ الْأَوَّلِ . . آيَة دَه لَا لَا أَنَا مَش عَارِفَة مُمْكِنٌ أَقْدِر اعْمَل دَه وَلَا لَا .

--هتقدري صدقيني أنتي مُمْتازَةٌ وَأَنَا بِتَعَلُّم بِسُرْعَة

لَمْ تَتْرُكْ لِي الْفُرْصَة لِلْإِجَابَة وَتَحَدَّثَت بِصَوْت عَالِي لوالدتها فَصَمَت الْجَمِيع لِيَسْتَمِع لِقَوْلِهَا

-ماما ، أَنَا عايزة أَتَعَلَّم مِنْ أَصَالَةِ ازاي اصمم مُلَابِسٌ وأفصلها بِنَفْسِي ، اقنعيها تعلمني بلييز .

أَنَا الْآنَ فِي مَوْقِفِ لَن ينقذني مِنْهُ أَحَدٌ ، نَظَرْت إِلَيّ وَالِدَتِهَا بَعْدَمَا تبادلت النَّظَرَات بَيْنَ ابْنَتِهَا وَزَوْجُهَا بتعجب مِثْلِي ، وَوُجِّهَت حَدِيثِهَا إِلَيّ :

-طيب بِجِدّ فَكَرِه حُلْوَةٌ ، طَيَّب وَلِيُّهُ لَا يَا أَصَالَة ، لَو تقدري تدي لِرُقِيّه كورس ياريت ، آيَه رَأْيك يَا مُحَمَّدُ ؟

أَشَارَت لِزَوْجِهَا فِي آخِرِ السُّؤَالِ وَأَنَا أَنْظُرُ لِلْجَمِيع بتوتر ، مَا هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ لِي ؟

اِبْتَسَم الزَّوْجِ وَقَالَ :

-والله لَو الآنِسَة أَصَالَة هتوافق أَنَا ماعنديش مُشْكِلَةٌ .

أَصَالَة مِن أَصْبَحْت الطَّابَة بِيَدِهَا الْآن وَعَلَيْهَا أَنْ تُسَدَّد هَذِهِ الضّرْبَةَ بِنَجَاح . . لِذَا أَصَالَة المبجلة الَّتِى يَتَحَدَّثُون عَنْهَا وَالَّتِي تَكُون أَنَا . . . وَافَقَت !

رَحَلُوا وَتَرَكُوا لِي تَفْكير عَمِيق فِي كُلِّ شَيْءٍ وَكَأَنِّي خُلِقَت لأفكر فَقَطْ فِي مَهَابّ وَمَا يَخُصُّ مَهَابّ . . .

فِي الْمَسَاءِ أَتَتْنِي رِسَالَة نصية مِن رُقَيَّة بَعْدَمَا قُبِلَت طَلَب صداقتها الَّذِي أَرْسَلْته لِي عَلَى تَطْبِيقِ الفيس بوك ، اتَّفَقْنَا أَنَّنِي عِنْدَمَا أَعُود لِلْعَمَل بالأتيليه سأخبرها لِتَأْتِي يَوْمَيْن بِالْأُسْبُوع وَنَرَى مَا الَّذِي يُمْكِنَنِي فَعَلَه مَعَهَا . .

مَرّ أُسْبُوع قَضِيَّتُه بَيْنَ النَّوْمِ أَثَر المسكنات ، والزيارات مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاء ليطمئنوا عَلِيّ ، أَو لِنَكُون صَادِقِين ، لِيَرُدُّوا وَاجِبَات وَالِدِي فِي مناسباتهم ؛ فَلَا أَحَدَ عَلَى صِلَةِ مَقْرَبَة بِي ليشغله رَأْسِي الْمَخِيط !

فِي هَذَا الْأُسْبُوع عَلِمْت مَعْنَى الترقب الْقَاسِي ، الصَّمْت الْمُمِيت ، العشم فِي اللاشيء . . . فَأَنَا كَذَبْتُ عَلَى مَيَّادَة ، أَنَا كُنْت أَتَوَقَّع شَيْءٌ خَشِيت أَنْ ابوح عَنْه عِنْدَمَا سَأَلَتْنِي عَنْ توقعاتي بِشَأْن مَوْضُوعٌ مَهَابّ ، كَان لَدَيّ أَمَّلَ فِي أَنَّ يَرْغَبَ فِي الْاقْتِرَاب أَكْثَر . . كُنْت أَظُنُّ أَنَّ مَا حَدَثَ سيجعله يَزْدَاد فُضُولًا فيحارب لِيَصِل لِمَا أُخْفِيه عَنْه ، لَكِن چل مَا وَجَدْته مِنْهُ هُوَ الصَّمْت الَّذِي اعْتَادَ تَصْدِيرُه لِحَيَاتِي .

وَ كَأن ينقصني شَيْءٌ آخَرُ يُرْهَق ذِهْنِيٌّ ويضغطني إلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَفِي أَثْنَاءِ تَفْكِيرِي دَخَلَتَا وَالِدَتِي وشقيقتي وجلسن أَمَامِي ، سهيلة تَنْظُر إلَيّ وَوَالِدَتِي تَقُول

-بصي يَا أَصَالَة ، أَنَا مَش هنكر أَنَا جه الْوَقْت اللَّيّ كُنْت بَدَأَت أُصَدّقُك فِيه ، وَيُمْكِن اتحمست واستنيت معاكي أَن مَهَابّ يَجِئ ، وَفَكَّرْت إنْ بَعُدَ اللَّيّ قَالَه وَاللَّيّ حَصَل هيكون فِي مِنْهُ أَيْ حَرَّكَهُ الْفَتْرَة دِي . . لَكِنْ رَجَعَ لصمته اللَّيّ مافيش مِنْهُ فَايِدَةُ . . . فَأَنَا يَا بِنْتِي جاية أَنْصَحُك وأقولك أَن مافيش دَاعِي لِلِانْتِظَار ، مَهَابّ مَش شايفك ، وَلَو شايفك مَش هيستنى كُلّ دَه . . .

أبوكي كَان مَأْجَلٌ مَوْضُوعٌ العَرِيس بِسَبَب اللَّيّ حصلك ، بِس بَعْدَ مَا الدكتور قَالَ إنّك هتفكي السِّلْك عَنْ الْجُرْحِ بَكْرَه أبوكي قَرَّر يُكَلِّمُهُم يجوا علشان الِاتِّفَاق وَعَلَى آخَرَ الْأُسْبُوع هَيّجُوا . . .

كَلِمَاتِهَا كَانَت تمزقني ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تحديداً شَعَرْت وَكَأَنِّي تِلْك الْيَتِيمَة التَّائِهَة ، وَالْمُخَيَّرَة بِأَن تَظَل طِوَال حَيَاتِهَا تَبْحَثُ عَنْ أَهْلِهَا فِي الشَّوَارِعِ ، أَوْ أَنَّهَا تَذْهَبُ لِدَار أَيْتَام وتتأقلم عَلَى وَضْعِ لَن يُنَاسِبُهَا أبداً .

أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِحَسْرَة كَبِيرَة ودموعي تَتَسَاقَط قهراً وألومه دَاخِلِيّ ، تَحَدّثَت بِقَهْر أَشْعَر بمرارته تَرَافَق الْكَلِمَات الْخَارِجَةِ مِنْ حَلْقِي :

-لا مَا تعملوش كَدِّه وماتقوليش كَدِّه ، دَه خَلَاص جه وَظَهَر ، ماتضيعوش كُلّ اللَّيّ عَمِلْته كُلِّ السّنِينَ دِي لَا . . هُو هيجي أَنَا مُتَأَكِّدَةٌ ، بِس مُمْكِنٌ علشان اللَّيّ حَصَّلْنَا فِي الْحَادِثَةِ هُو مستني لِمَا الدُّنْيَا تَكُون تَمَام وَيَتَكَلَّم مثلاً.

أَتَى الدَّوْر لِتَكْمُل سهيلة الذَّبْح البَطيء لِي وَتَقُول :

-علي الْأَقَلُّ كَانَ أَتَكَلَّم معاكي وَاسْتَغَلّ الْوَقْت دَه يَتَعَرَّف عليكي ، مافيش حَاجَةً مِنْ الْوَهْمِ اللَّيّ فِي دماغك دَه هتحصل ، أنتي عُمَّالِه تدوريله عَلَى مبررات وَخَلَاص .

صَحَّتْ بِهَا :

-بس هُو أَتَكَلَّم . . اتَّصَل بِيَا يطمن عَلِيَّا وَاَللَّه ، مُسْتَحِيلٌ كُلّ اللَّيّ كُنْت بِحِسِّه وبشوفه وَإِشَارَات رَبَّنَا لِيَا دِي تَكُونَ مِنْ خَيَّالِيٌّ أَنَا مَش مدلوقة عَلَيْه ، أنتي لَيَّه دائماً بتحاولي توصليلي الفِكْرَة دِي ؟

حَاوَلَت وَالِدَتِي تهدئتي وَفِي النِّهَايَةِ خُتِمَت الْحَدِيث بِحَدِّه قَائِلُه :

-قدامك مُهْلَة أُسْبُوع يَا أَصَالَة يَجِئ فِيهِم ، أُسْبُوع لَو ماجاش أَيْ حَدُّ مُنَاسِبٌ هيتقدم هتتجوزيه ، وهتقعدي مَع العَرِيس اللَّيّ أبوكي مأجله دَه .

لَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي جَعَلَنِي انْدَفَع وَاطْلُب أُسْبُوعَيْن بدلاً مِنْ أُسْبُوعٍ ، وَلَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْجُمْلَةِ الَّتِي انْطَلَقْت مِن فَمِي حِينِهَا

قَالَتْ أُمِّي بَعْدَ تفْكِيرٍ :

-أسبوعين يَا أَصَالَة ، هقنع أبوكي يستناهم . . . هُمَا أُسْبُوعَيْن وَبَعْدَهَا مَا اسمعش سِيرَتِه تَأَنِّي . .

8

"مهاب"

أَظُنُّ أَنَّهُ حانَ الوَقْتُ لِأَنَّ أَتَحَدّث مِنْ جَدِيدٍ ، فَلَن أَسْتَطِيع مُقَاوَمَة فُضُولِيٌّ أَكْثَر ، أَو لأكن صادقاً أتلهف بِشِدَّة لمحادثتها ، هُنَاك شُعُور مَا يَأْتِينِي مِنْ بِدَايَةِ أَيُّ حَدِيثٍ مَعَهَا ، يَجْعَلَنِي أَشْعَر أَنَّنِي احْتَاجَ ذَلِكَ الْحَدِيثِ وبشدة .

تَرَدَّدَت قَبْلَ أَنْ أراسلها فَالْوَقْت مُتَأَخِّرٌ ، نَظَرْت لَسَّاعَةُ الْهَاتِف فَوَجَدْتهَا فَقَط الْعَاشِرَة مساءً فَاِتَّخَذَت أَنَامِلِي طَرِيقُهَا لِأَحْرُف لَوْحَة الْمَفَاتِيح لِتَقُول شيئاً ، لَكِنَّهَا فِي النِّهَايَةِ تَوَقَّفَت أمَام الْأَحْرُف بِثَبَات . . لَا أَعْلَمُ بِمَا أَبَدًا حَدِيثَي ؟

اطَّلَعْت عَلَى وَقْتِ آخَرَ ظُهُور لَهَا عَلَيَّ تَطْبِيق الواتساب وَوَجَدْته مُنْذُ وَقْتِ بَعِيدٌ فتحمست لِأَنّ أُكْتُب بِحُرِّيَّة ؛ فَسَيَكُون لَدَيّ مُتَّسَعٌ مِنْ الْوَقْتِ لِلتَّرَدُّدِ أَوْ مَحْو مَا أَرْسَلْته إنْ لَمْ يُعْجِبُنِي . . كُتِبَت :

"أزيك يَا أَصَالَة عَامِلِه آيَه ؟ "

أَرْسَلْتهَا وَانْتَظَرْت لِدَقِيقَة دُونَ أيّ رَدَّ فَعَلَ مِنْهَا فَهْدًا توتري قليلاً ، انْتَظَرَت أَكْثَرُ وَلَمْ تُجِيب بَلْ لَمْ تَكُونُ مُتَّصِلَةً بالأنترنت مِن الْأَسَاس . مَرّ سَاعَتَيْن أتنزه فِيهِمَا بَيْن زِحَام الأنترنت وَمَن حِينٍ لآخَرَ أَدْخَل لأطمئن إنْ كَانَتْ شَاهَدْت رسائلي أَوْ أَجَابَتْ فَلَا أَجِدُ غَيْرِ الِاخْتِفَاءِ ، اسْتَسْلَمَت فِي النِّهَايَةِ لِلنَّوْم مُحْبِطًا . . . لَا أَعْلَمُ كَمْ مَضَى مِنْ وَقْتِ وَأَنَا نَائِمٌ ، لَكِنَّنِي أَتَذْكُر أَنَّنِي اسْتَيْقَظَت فَزِعًا بِلَا سَبَبٍ فَعَلَيّ ، فَقَط أبْحَث عَنْهَا حَوْلِي وَفِي هاتِفِي وَأَنَا

مُضْطَرِبٌ وَأَشْعَر بالفزع بِلَا سَبَبٍ ، فُتِحَت الرَّسَائِل لَأَجِد مِنْهَا رِسَالَةٌ . . لَم افتحها ، ذَهَبْتُ إِلَى دَوْرُة الْمِيَاه اغْسِل وَجْهِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ لأهدأ قليلاً واستفيق ، جَلَسَتْ عَلَى أَرِيكَة كَبِيرَة بالصالة وتنفست بِعُمْق وَأَنَا أُفَكِّرُ فِي طَرِيقِهِ استيقاظي وشعوري المفاجئ بِالْخَوْف . . توقعت أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ عَقْلِيٌّ الْبَاطِن لِأَنَّنِي أَجْبَرَتْهُ عَلَى النَّوْمِ وَكَان بانتظارها .

-الحمد لِلَّه بِخَيْر ، وَأَنْت عَامِلٌ آيَه دلوقتي ؟

كُتِبَت لَهَا بَعْدَمَا نَظَرْت لِلسَّاعَة ووجدتها الثَّالِثَة صباحاً فَتَعَجَّبْت وَذَلِكَ مَا جَعَلَنِي أَعْقَب متسائلا بَعْدَمَا أخبرتها بِأَنَّنِي بِخَيْر وَالْحَمْدُ لِلَّهِ :

-أيه مصحيكي فِي وَقْتِ مُتَأَخِّرٍ كَدِّه ؟ أنتي مَش الْمَفْرُوض هتروحي الْمُسْتَشْفَى الصُّبْح بَدْرِيٌّ ؟

--أيه دَه أَنْت فَأكِرّ الْمِيعَاد ؟

قُلْت فِي عَقْلِيٌّ مَا الَّذِي سيجعلني لَا أتذكره ؟ فَأَنَا أَتَذْكُر صراخها بِاسْمِي وَنَظَرُة الْخَوْفِ الَّتِي اسْتَقْبَلَتْنِي بِهَا عِنْدَ استيقاظي ، أَتَذْكُر تفاجئي بجرحها ودماءها الَّتِي أخفتها عَنْ الْجَمِيعِ لِأَجْلِي ، كُلّ تَفْصِيلُه صَغِيرَةً فِي هَذَا الْيَوْمِ حُفِرَتْ فِي عَقْلِيٌّ ، فَلَمَّا لَن أَتَذْكُر مَوْعِد كَهَذَا ؟

أَجَبْت :

-أه فَأكِرّ ، بِس ماجاوبتنيش برضه . . لَيَّه صاحية فِي وَقْتِ مُتَأَخِّرٍ كَدِّه ؟ أنتي صحيتي عَلَى كابُوس فقلقتي ؟

أَسْأَل هَذَا السُّؤَالِ لتعجبي مِن لَحْظَة إرْسَالُهَا الرِّسَالَة ، وَالَّتِي صَادَفَت وَقْت استيقاظي فَزِعًا وَهَذَا الشَّيْءُ جَعَلَنِي أتساءل وأحاول تَحْلِيل الْأَمْرِ وَهَذَا لَيْسَ مِنْ طِباعِي ، وَلَا أَعْلَمُ لَمَّا قَدْ فَعَلْت ذَلِكَ ؟

-لا أَنَا مانمتش أصلاً ، بِس لَيَّه بتسأل ؟

شَعَرْت أنَّنِي أَحْمَق يُدَقِّق فِي ترهات وتفاهات فمحوت الفِكْرَةَ مِنْ عَقْلِيٍّ

-لأ عَادِيٌّ دَه تَوَقَّع ، أَصْلَك كنتي قَافِلَةٌ مِنَ بَدْرِيٌّ فتوقعتك نَايِمَةٌ وَلَمَّا لَقِيتُك فَاتِحَة دلوقتي قولت مُمْكِنٌ يَكُون دَه اللَّيّ حَصَل .

-لأ أَنَا بِس مَش جايلي نَوْم ، وَأَنْت لَيَّه صاحِي مَش الْمَفْرُوض رَاجِعٌ بَكْرَه الشُّغْل ؟

وجدتني أَسْأَلُهَا تلقائياً بتعجب :

-أيه دَه أنتي عَرَفَتِي أزاي مِيعَاد رُجُوعِي ؟

لَمْ تَقْرَأ الرِّسَالَة ، وَلَم تُجِيب إلَّا بَعْدَ مُرُورِ وَقْتٍ لَيْسَ بِكَثِيرٍ

-أهلك قَالُوا لَمَّا كَانُوا عِنْدَنَا .

أَجَابَه مُقْنِعِه . . صُمْت حَدِيثَنَا لِدَقَائِق كُنْت اِسْتَجْمَع فِيهَا طَاقَتَي للعودة للجدال مَعَهَا فَأَنَا لَن انْتَظَر أَكْثَر لأفهم مَا يَعْنِيهِ مَا رَأَيْته وَمَا حَدَثَ يَوْم تقابلنا مِنْ جَدِيدٍ . .

-هفضل مَش فاهِم محتاجالي لَيَّه يَا أَصَالَة كَدِّه ؟

قَرَأْت رِسَالَتِي فَوْر وُصُولِهَا وَكَأَنَّهَا كَانَت تَنْتَظِر دَاخِلٌ خَانَه الرَّسَائِل . . . كُنْتُ أُرَاهَا تُكْتَب وَتَتَوَقَّف ، تَعُود لِلْكِتَابَة ثُمّ تَتَوَقَّف مِنْ جَدِيدٍ . . هُنَا أَدْرَكْت أَنَّهَا تُكْتَب وتمحو مَا كَتَبْته هَذَا يَدُلُّ عَلَى ترددها لَيْسَ عَدَمُ رَغْبَتُهَا فِي الْحَدِيثِ ، إذاً أَصَالَة تَرْغَب فِي البَوْح لَكِن هُنَاكَ مَا يقلقها وَهَذَا مَا سأصب تركيزي عَلَيْه الفترة القَادِمَة . . . أطمئنها .

كتِبَت :

-عايز تُعْرَف آيَه بالظبط وَلِيُّه ؟

--عايز أَعْرِف آيَة الشات اللَّيّ بَيْنِي وَبَيْنَك دَه وأحنا عُمْرِنَا مَا اتكلمنا ! وَلِيُّه محتاجالي أَنَا ! لَيَّة أَنَا تحديداً وَفِي آيَه محتاجلي علشانه ؟

لَيّه بَقِى دِي . . كَانَ مِنْ أَيَّامِ فَاتَت مُجَرَّد فُضُول ، بِس حالياً بَقِى شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْ فُضُولِ .

قَرَأْت رِسَالَتِي وَلَم تَنْتَظِر أَكْثَرَ مِنْ ثانيتين لَتَسْأَلُنِي :

-يعني آيَه شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْ فُضُولِ ؟

--عايزة الصَّرَاحَة ؟

أَجَابَت بِسُرْعَة :

-ياريت !

--إحساس مُخْتَلَفٌ . . بيقولي إنِّي الْمَفْرُوض أَعْرِف ، وَمُحْتَاجٌ أَعْرِف مَش علشان أَرْضِي فُضُول . . أَنَا بِحَاجَة لِأَنِّي أَعْرِفُ اللُّغْز اللَّيّ عِنْدَك ، فِي شَيْءٍ مُهِمٌّ يخصني فِيهِ أَنَا حَاسَّة بِس مَش فاهمه .

صدمتني بِسُؤَالِهَا :

-مهاب أَنْت بتقول كَدِّه علشان تطمني وتخليني أَحْكِي صَحّ ؟

أَنَا بِالْفِعْل كُنْتُ أُفَكِّرُ مِن لَحَظَات فِي أَنَّ أطمئنها لتتحدث لَكِنْ لَيْسَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؛ فَلَم يَطْرَأ بَعْد لعقلي فِكْرُهُ عَنْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَأَفْعَل بِهَا ذَلِكَ ! ! أَنَا حقاً أَتَحَدّث بِصِدْق لِمَا خَطَرَت لعقلها تِلْك الفِكْرَة خصيصاً ؟ هُنَاكَ شَيْءٌ مُرِيبٌ يجذبني لعقل تِلْك الفَتَاة أَكْثَرَ مِنْ جاذبيتها وَجَمَالِهَا الخارجيين !

-لا يَا أَصَالَة أَنَا صَادِقٌ ، أَنَا دَه شُعُورِي وَعَلَى الأَخَصُّ مِنْ بَعْدِ الحَادِثَةِ وعلشان عَارِف إِنَّك هتسألي اشمعنى ؟ هقولك إِنِّي حَقِيقِيٌّ مَش عَارِف . . فَمُمْكِنٌ تفهميني بَقِى ؟ .

--أنا مصدقاك . .

تحمست

-حلو وبعدين ؟

أَجَابَت فأقلقتني وَزَادَت حَيْرَتِي :

-بس أَنْت عُمُرِك مَا هتصدقني

****

"أصالة"

مَرّ كَثِيرٍ مِنْ الْوَقْتِ وَأَنَا فِي قَاعِ الْبُؤْس ، اسْتَيْقَظ كُلّ صَبَاح فَأَجِد أني مَازِلْت هُنَاك فأتنهد بِنَفَاذ طَاقَة وأقنع عَقْلِيٌّ أَن الْغَد سينهي كُلّ شَيْءٍ ونعود لِأَوْقَات كُنَّا بِهَا أَهْدَى وَأَسْعَد مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ الثِّقَال . . لَكِن حقاً أَجْذَمَ عَلَى أَنَّنِي سأنفجر فِي أَيِّ لَحْظَةٌ إِنْ لَمْ يُحْدِثْ أيَّ شَيْءٍ عَلَى الْأَقَلّ مُطْمَئِنٌّ وَلَو بِنِسْبَة صَغِيرَة تَجْعَلْنِي أَتَنَفَّس قليلاً وَإِلَّا انْفَجَر ويتدمر كُلّ شَيْءٍ ، هَذَا الْوَقْتِ وَهَذِه اللَّيْلَة لَا أَسْتَطِيعُ تَخْمِينٌ أَنَّهَا سَتَمُر بِسَلَام فَأَنَا أَتَأَلَّم بِصِدْق ، أَتَأَلَّم مِنْ الدَّاخِلِ وَلَا أَتَحَمَّل نبضي الْمُضْطَرِب الْمُزْعِج ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى إِخْمَاد أفكاري الْكَثِيرَةِ الَّتِي تتشاجر جميعاً دَاخِلٌ رَأْسِي . .

أَنَا لَسْتُ بِخَيْرٍ بتاتاً . . أَنَا احْتَرَق ، أَقْسَم أني أَشْعَر بِأَنَّنِي اِحْتَرَقَ مِنَ الدَّاخِلِ ، رَأْسِي يؤلمني وَضَعَّف الامَّة تمتلك قَلْبِي المحطم وَالْقَلَق الْآن . .

حَدِيث وَالِدَتِي وشقيقتي ، جَعَلَنِي أَحْيَا لَيْلَةَ لِعَيْنِه بِكُلّ مَا تَحَمَّلَهُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ مَعَانِي . . وَلَكِن الأقسى مِنْهَا هُوَ اقْتِرَاب انْتِهَاء نِصْف الْمُهْلَة الَّتِي حددتها لِي أُمِّي ، عِنْدَمَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْضاع عَيْنِي لِلنَّوْم ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَمَرَّد عَقْلِيٌّ الَّذِي يُرِيدُنِي أَن أركض إِلَى مَهَابّ وَابْكِي لَه لأستنجد بِه . . . يُرِيدُنِي أَن ابوح لَهُ بِكُلّ شَيْءٍ لَعَلَّه ينقذني مِمَّا يَحْدُثُ حَوْلِي . . مَا يَقْرُبُ لل5 سَاعَات خِلَال الْيَوْمِ الَّذِي تَمُرُّ سَاعَاتُه بِبُطْء شَدِيدٌ ، قَدْ دَخَلَتْ إِلَى خَانَه الرَّسَائِل الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ لَنَا أَنْ تراسلنا بِهَا . . أَدْخَل وَأَمْعِنْ النَّظَرَ إِلَى صُورَتِهِ وأصابعي الَّتِي تَقِفُ أمَام لَوْحَة الْمَفَاتِيح تُرِيدُ أَنْ تَبْعَثَ لَه بِـ "أحتاجك . . "

بَعْد 5 سَاعَاتٍ مِنْ الإرهاق الذِّهْنِيّ والمحاولات الفاشلة بِسَبَب مُقَاوَمَة كبريائي . . . دَخَلَت خَانَه الرَّسَائِل الْوَهْمِيَّة لَه وكالمعتاد حَدَّثَتْه فِي رِسَالَةِ صوتية وَأَنَا أَبْكِي بِقُوَّة وأخبره كَم أَنَا فِي مَأْزِق ، ومجددا كَم أنا احْتَاجَه ويقتلني صَمْتُه . . أَخْبَرَتْه بِكُمْ أَنْ الصَّبْرَ لَدَيّ حِبالِه تَذُوب بَيْن أَصَابِعِي وسأسقط فِي أَيّ لَحْظَةٌ . . أَرْسَلْت الرّسَالَةِ الَّتِي لَن يَسْتَمِعُ إِلَيْها غَيْري . . وَأَغْلَقْت هاتِفِي بِالْكَامِل وأبعدته عَنِّي .

كُنْت أَظُنُّ أَنَّ هَذَا حلاً لَكِنَّ الْأَمْرَ زَاد تعقيداً فَأَنَا بِالْفِعْل انْفَجَرَت لَيْلَتِهَا . . . كُلّ شَيْءٍ كُنْتَ أُحَاوِل كِتْمَانَه دَاخِلِيّ واجهني لِيَقْضِي عَلِيّ ، كَانَ الْبُكَاءُ يَقْطَع أنفاسي وَيَزِيد نبضي الْمُضْطَرِب ، عَيْنَاي تؤلماني ، جَبِينِي أَصَابَه الِاحْمِرَار مِنْ إِطَالَةِ السُّجُود ، بَلَّلَت سَجَّادَة صَلَاتِي بدموعي الْمَالِحَة . . كُنْت أحتضنها بقبضتي وَأَنَا أَتَحَدّث بانكسار لِلَّه وَأَخْبَرَهُ مِنْ بَيْنِ شهقاتي ودموعي أَنِي مُتْعِبُه بِشِدَّة . . اتأسف لَهُ لِعَدَمِ قُدْرَتِي عَلَى الْمُقَاوَمَة أَكْثَر ولانهياري . . خَرَج صَوْتِي المتحشرج مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَأَنَا سَاجِدَة وَأَقُول بِصَوْت سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَأَظُنُّ أَنَّهَا وَصَلَتْه هَذِهِ الْمَرَّةِ . . !

-يارب ماتخذلنيش أَنَا وَاثِقَةٌ فِي إشاراتك أَنْت مَش فِي كُلّ اللَّيّ بِيَحْصُل حواليا .

قَدْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ الْأَخِيرَة الَّتِى طُوِيَت بَعْدَهَا سَجَّادَة صَلَاتِي وَذَهَبَت إِلَيّ هاتِفِي وَأَنَا أَمْسَح دمعاتي بِهُدُوء لأجلس بَعْدَ هَذَا الْإِفْصَاح الطَّوِيلِ الَّذِي كَانَ كافياً لِأَنّ يَجْعَلَنِي أَعُود لهدوئي وَيُبَرّد نيراني قليلاً واطمئن . . فُتِحَت هاتِفِي لَأَجِد مِنْهُ رِسَالَةُ . . أَسْفَه اعْلَمْ أَنَّك مَلِلْت مِن بُكَائِي الْكَثِيرِ لَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِع مَنَعَهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، فَقَد بَكَيْت عِنْدَمَا وُجِدَتْ مِنْهُ رِسَالَةُ . . مَهْمَا كَانَ محتواها فَيَكْفِي أَنَّه يتذكرني وَهَذَا وَحْدَه طمأنني أَن مَازَال هُنَاكَ وَقْتَ . .

تُحَدِّثُنَا وَكُنْت وَاحِدَةً أُخْرَى غَيْرِ تِلْكَ البائسة الحزينة ، كُنْت أَتَحَدّث إِلَيْه بِحَمَاس ، أَحْلِل كَلِمَاتِه بِدِقَّة ، أَشْعَر بِأَنَّنِي أَتَنَفَّس . .

حقاً كُنْت أَرْغَب بِشِدَّة إخباره بكُلِّ شَيْءٍ ، لَكِن مهلاً أَيُّهَا الْقَلْب . . . لَيْسَ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ .

-بس أَنْت مَش هتصدقني . .

--ليه مَش هصدقك ؟

-علشان أَنَا عَارِفَة أَن اللَّيّ هحكيه مايتصدقش .

--جربي وأحكمي ، مَش يُمْكِن أَصْدَق ؟

حانَ الوَقْتُ لِأَنَّ أَنْفَذ قراري الَّذِي أَخْبَرَتْه لميادة مُنْذُ أَيَّامِ مَضَت . سأبدأ فِي تَبَادُلِ الْأَوْرَاق مَعَه . . فليفكر وَيَنْتَظِرْ هُوَ بَعْضُ الْوَقْتِ . .

-لا يَا مَهَابّ مَش هينفع . . مَش هقدر .

--أمتي تقدري تحكيلي ؟

كَان سؤالاً غَيْر مُتَوَقَّع وذكيا . . صُمْت قليلاً لأفكر . . ثُمّ أَجَبْت :
-في الوَقْتِ الْمُنَاسِب .

--وامتى الوَقْتِ الْمُنَاسِب ؟
-مش عَارِفَة بِس أَكِيدٌ وَقْتِهَا هعرفه ومعتقدش هيجي بِسُرْعَة .

--وأنا هنتظر الوَقْتِ الْمُنَاسِب . .

*****

"مهاب"

لَنْ تُطِيقَ مَعِي صبراً كَانَت رسالتها عِنْدَمَا أَخْبَرَتْهَا أني سأنتظر ، وسأثبت لَهَا أَنْ مَا مِنْ أَحَدِ فِي ذَلِكَ الْعَالِم يمتلك صَبْرِي . . هِيَ لَا تُعْلَمُ كَم أنني أَقْضِي حَيَاتِي انْتِظَارا . . وَلَا تُعْلَمُ أيضاً قُوَّتِي فِي تَحَمُّلِ الإِبْتِعَاد عَمَّا أُرِيد . . فَأَنَّا لَا أُحِبُّ أَنْ يَكُنْ لِشَيْءٍ أُرِيدُه السَّيْطَرَة عَلِيّ . . . فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُحَصِّلَ عَلَى مَا أُرِيدُ عَلَى الْفَوْرِ فَلْيَذْهَب لِلْجَحِيم أَنَا بإمكاني الْحُصُول عَلِيّ الْأَفْضَل

فلنرى إنْ كَانَتْ تَسْتَطِيعُ جَعْلِيٌّ انْتَظَر أَكْثَرَ مِنْ أُسْبُوعَيْن ، فَإِنْ لَمْ أُتِي أَنَا بِهَذَا الوَقْتِ الْمُنَاسِب فسأعترف بضعفي أمَام الْجَمِيع .

حسناً فَلْنَبْدَأ اللَّعِب . . سأجعلها تَمَلّ فتتحدث رغماً عَنْهَا .

****

"أصالة"

قَرَّرْت الْعَوْدَةِ إلَى الاتيليه بَعْدَ يَوْمِ الْمُسْتَشْفَى وَمَا عانيته لَيْلَتِهَا مِنْ صُدَاعٍ قَوِيٌّ فِي رَأْسِي ، كَانَ يَوْمًا حَافِلًا بالمسكنات وَالنَّوْمِ الَّذِي لَمْ أَرَاهُ مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي يَسْبِقْه ، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ فِي الصَّبَاحِ أَشْعَر بحيوية وَنَشَاط اِرْتَدَيْت ملابسي وَذَهَبَتْ إلَى الاتيليه وَفِي طَرِيقِي إلي هُنَاك اتَّصَلَت مَيَّادَة لِتَطْمَئِن عَلِيّ ، بَعْدَمَا أَرْسَلْت لَهَا رسالة نصية أَخْبَرَهَا أَنَّنِي قَرَّرْت الْعَوْدَة لِلْعَمَل . . وَأَثْنَاء حَدِيثَنَا أَخْبَرَتْهَا بِمَا دَار بَيْنِي وَبَيْنَ مَهَابّ الليلة الْمَاضِيَة وَكَان رَدَّهَا:

-أنتي بتهزري يَا أَصَالَة ، انْتِظَار آيَة اللَّيّ عايزاه يَنْتَظِرُه دَه يَوْمِه بِسُنَّة يَا أَصَالَة ، دا إحَنَا مستنينه يَتَحَرَّك بقالنا سَنَتَيْن وَشُهُور ، وَأَوَّلُ مَا يَجِئ تَخْلِيَه يستنى ؟ دا عقبال مَا يُعْمَلُ رَدَّه فَعَل إحَنَا مستنينها أَكُونَ أَنَا عِنْدِي فَارِس وحوا . . أنتي عايزة تجنينيي ؟

ضَحِكْتُ مِنْ اسلوبها فَدَائِمًا مَا تضحكني ردود أَفْعَالِهَا الْغَيْر مُتَوَقِّعَة ، أَجَبْت:

-حتى أَو مَش هيعمل رَدّ فَعَل وهستنى سِنِين تَأَتّيه عُمْرِي مَا هحكيله إلَّا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِب .

--وامتى الوَقْتِ الْمُنَاسِب ؟

تَنَهَّدْت :

-بعد مَا أطمن . . وَبَعْدَ مَا يَنْتَهِي فُضُولِه وَيَتَحَوَّل لشعوره اللَّيّ حَكَى عَنْهُ . أَنَا عُمْرِي مَا هصارحه لَو مافيش مِنْهُ حَاجَةً واضحة جاتلي ، مَش هحكيله غَيْرُ لِمَا أَثْبَتَ لِنَفْسِي وَلِلْكُلّ أَنَّ كُلَّ اللَّيّ جالي مِنْ إشَارَاتِ كَانَ صَحّ .

--بس دَه بِآلَة طَوِيلٌ آوِي يَا أَصَالَة . . وأنتي مافيش قُدَّامَك غَيْر 9 أَيَّام بِالضَّبْط لِانْتِهَاء الْمُهْلَة .

اِنْقَبَض قَلْبِي عِنْدَ تَذْكُرِي مِنْ حَدِيثِهَا ، نَظَرْت لِلسَّمَاء وتمتمت بِخَوْف "يارب" زَفَرَت بِقُوَّة وَأَنَا أَخْبَرَهَا :

-رغم أَنَّ عِنْدَك حَقّ . . وَإِن التَّحَدِّي الْمَرَّة دِي أَصْعَب ، لَكِن عِنْدِي ثِقَة أَنَّهُ مَش هيخذلني الْمَرَّة دِي .

وَقَفْت متسمرة مُوَاجِهَة بَوَّابَة الاتيليه عَلَى بُعْدٍ خُطُوَات مِنْهَا أَحْدَق فِي الْوَاقِفِين أَمَامِي بِصَمْت ، تَسْأَلُنِي مَيَّادَة لِمَاذَا صُمْت ؟ قلقت الْمِسْكِينَة وَلَهَا حَقٌّ فِي أَنَّ تُقْلِق فصديقتها الْآنَ فِي مَوْقِفِ لاَ تَحْسُدْ عَلَيْهِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَهَابّ وَابْنُة شَقِيقَةٌ بدهشة وَكَأن القِطَّة سُرِقَت لِسَانُهَا ، وَهُمْ عَلَى بُعْدٍ خُطُوَات مِنْهَا يبتسمن لَهَا . . فَلَمْ يَكُنْ فِي حسبانها أَنَّهَا عِنْدَمَا تُخْبِر رُقَيَّة بِأَن تَأْتِيَهَا مبكراً لِبَدَء مهمتهما ، سَيَأْتِي مَعَهَا لِتَكُن فِي مواجهته بأعينه الباسمة مِنْ جَدِيدٍ . . .

9

قُلْت :

-صباح الْخَيْر !

اقْتَرَبَتْ مِنْ مَكَان وُقُوفُهُم وَحَاوَلْت الِابْتِسَام وأجاهد فِي إخْفَاءِ توتري ، وَحَقِيقَة الْأَمْر أُغْلِقَت الْمُكَالَمَة دُونَ أَنْ أُعْطِيَ إشَارَةٌ قَبْلَهَا لميادة ، لَا يَهُمَّ فَهِي تَعْلَم جيداً توتري يَكُون جنونيا فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَات . .

-صباح النُّور ، حَضَرَتْك جاية مُتَأَخِّرٌ عَنْ ميعادك 10 دَقَائِق كَامِلَيْن ، وهيتخصملك يَوْمَيْن . .

ضَحِكْت وَأَنَا أَنْظُرُ لَه واتساءل :

-هو مَيْن مُدِير الْمَكَانَ هُنَا ؟

انْدَفَعَت رُقَيَّة قَائِلُه بمرح :

-هو دَه عمو مَهَابّ ، بيستولى عَلَى أَيِّ مَكَان يَدْخُلُه .

مُحِقَّة أَنْتَ يَا رُقَيَّة ، فَقَدْ اسْتَوْلَى عَلِيّ بِالْكَامِل بِمُجَرَّد طُرُقِه لِبَاب قَلْبِي .

ضحكنا وَأَنَت لتحتضنني وَوَقَفْت بِجَانِبَي ، ظِلّ مَكَانَه يَنْظُرُ إلَيْنَا . . أَو لِأَكُون دَقِيقَةٌ . . إلَيّ ! فَعِنْدَمَا الْتَفَتَ إلَيْهِ صَدَفَة تَلَاقَت أَعْيُنِنَا . . أَعْيُن بِاسْمِه بِأُخْرَى تَسْتَغِيث .

تَحْدُث :

-ماتتعوديش يَا أُسْتَاذِه رُقَيَّة عَلَى أَنِّي اجي أجيبك هُنَا كُلُّ مَرَّةٍ ، أنتي قلتي خايفة تَرُوحِي لواحدك أَوَّلَ مَرَّةٍ علشان ماتعرفيش الْمَكَان ، وأهو عرفتهولك .

قُلْت بلهفة دُون وَعِيّ مِنِّي :

-أنت رَائيح فِين أَنْت هتمشي ؟

صمْت الِاثْنَان وَظِلّ يَنْظُرُ إلَيَّ فشعرت بالإحراج عِنْدَمَا تَذَارَكْت انْدِفَاعِيّ الَّذِي مِنْ الْمُؤَكَّدِ كَانَ مَعْنَاهُ واضحاً ، حَاوَلَت مُعَالَجَة الْأَمْر فتنحنحت وَأَضَفْت :

-مش هتستنى تَشَوَّف الْمَكَان وَتَشْرَب حَاجَة ؟ أَنْتَ أَوَّلُ مَرَّةٍ تيجي .

اِبْتَسَم وَوَضَعَ يَدَهُ فِي جَيْبِ بنطاله وَقَال :

-مش الْمَرَّة دِي ، أَنَا كَدِّه كَدِّه جاي تَأَنِّي أَكِيدٌ . .

سَأَلْتُه رُقَيَّة :

-هاتيجي تاخدني وَأَنْت مَرُوحٌ ؟

وَأَنَا تَوَقَّف لَدَيّ الْوَقْتِ عِنْدَ جُمْلَتِه . . ترتجف أَوْصَالِي مَنْ وَقَعَ الْجُمْلَةِ عَلَى مسامعي ، ابتسامته . . طَرِيقَتِه . . جُمْلَتِه . . كُلِّ شَيْءٍ فَعَلَهُ مِنْ ثوانٍ قَدْ رَأَيْتُهُ كثيراً مِنْ قِبَلِ ، آثَار حَيْرَتِي وقتاً طويلاً ، وَذَاب قَلْبِي فِي انْتِظَار تَحْقِيق تِلْكَ الْجُمْلَةِ ، مَتَى تَكُونَ تِلْكَ الْمَرَّةِ الَّتِي دائماً مَا تَتَحَدّث عَنْهَا ؟

-والله عَلَى حَسَبِ أُسْتَاذِه أَصَالَة هتخلص معاكي أُمَّتِى ؟

سَأَلْتنِي رُقَيَّة وَلَم انْتَبَه فَأَنَا عَقْلِيٌّ مُشَوَّشٌ الْآن

-هنخلص أُمَّتِى يَا أَصَالَة ؟

لَم أُجِيب فَنَادَتْنِي مِنْ جَدِيدٍ فَانْتَبَهَت هَذِهِ الْمَرَّةِ لِأُجِيب كالبلهاء :

-هاه ! بتقولوا حَاجَة ؟

--كنت بسألك إِحَنَّا هنخلص أُمَّتِى ؟ علشان لَو كَدِّه عمو يَجِي ياخدني وَهُو مَرُوحٌ .

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ثُمَّ إِلَيْهِ وَأَنَا لازلت عَلَى حَالَتَيْ مِن التشوش والشرود ، أَجَبْت :

-ماشي مافيش مُشْكِلَةٌ ، وَقْتٍ مَا يَخْلُصُ يَجِئ ياخدك .

حمَاس رُقَيَّة وَقْتِهَا لِقُدُومِه لِأَخْذِهَا جَعَلَنِي أَسْتَفِيق مِن غيبوبتي عَنْ الْوَاقِعِ ، وَجَعَلْتنِي اِنْتَبِهْ إِنَّ هَذَا سيجعلني أَرَاهُ مِنْ جَدِيدٍ فتحمست أَكْثَرَ مِنْهَا وَلَكِنَّنِي اكْتَفَيْت بِالِابْتِسَام . . وَدَّعْنَا وَرَحَل وَدَخَلْنَا إِلَى الاتيليه سوياً ، أَخْبَرَتْهَا أَنَّ تتعامل وكأننا شُرَكَاءُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ لِتَكُونَ عَلَى رَاحَتُهَا ، أَخَذْنَا نُزْهَة بَيْن غَرَف وطرقات الْمَكَان لتشاهد كُلُّ مَا بِهِ مِنْ تَفَاصِيلِ وموديلات ، قَد اعجبها بَعْض الفساتين وَعَزَمْتُ عَلَى تجربتها فأجبرتها بِأَن تَجْلِس لِنَأْكُل فطورنا قِبَلَ أَيِّ شَيْءٍ وَمَنْ بَعْدِهَا سأتركها لتجرب عَرَض الأزياء الَّتِي تَرْغَب بِه .

******

"مهاب"

كُنْت عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّهَا ستتفاجأ بقدومي مَع رُقَيَّة بِالْفِعْل ، وَحَقًّا كُنْت مُتَشَوّقٌ لِأَنْ أَرَى رَدَّة فِعْلِهَا ، لَاحَظَت شيئًا جديداً الْيَوْمَ مِنْ ردود أَفْعَالِهَا تعجبته . . أَصَالَة كثيراً مَا تَشَرُّد عِنْد تواجدي أَو حَدِيثَي مَعَهَا ، أَشْعَر حِينِهَا أَنَّهَا لَا تَرَانِي ، بَل تَرَى شَيْئًا آخَرَ فِي عَقْلِهَا . . . كُنْت طِوَالَ الْيَوْمِ اعْمَل وأفكر لَا رَاحَةٌ بَيْنَهُمَا ، كَان دَاخِلِيّ رَغْبَة مِلْحَه فِي أَنَّ أَدْخُلَ عَقْل هَذِه الفَتَاة وَاعْلَم أَنِي سَاجِدٌ كَثِيرٍ مِنْ المفاجأت دَاخِلَةً لَكِنْ كَيْفَ السَّبِيل لاقتحامه !

أَنْهَيْت عَمَلِي وَأَنَا أَعَدّ السَّاعَات المتبقية فِيه ، اِنْتَظَرَ أَنْ يَأْتِيَ مِيعَاد الْخُطَّة رُقِم 2 . . فَالْأَوْلَى قَد أَتْمَمْتَهَا صباحاً . . هَا أَنَا أطاردها بِوُجُودِيّ ، وَالْآن حَان دُور الْمَشْهَد الثَّانِي . . .

خَرَجَتْ مِنْ الشُّغْلِ وَتَحَدَّثَت إلَى رُقَيَّة عَلَى واتساب لَأَعْلَم مِنْهَا الْأَخْبَار فَأَخْبَرَتْنِي أَنَّهُمُ الآنَ يَقُومُون بِتَجْرِبَة بَعْضُ مَنْ التصميمات . . . لَمْ أَفْهَمْ الْحَقِيقَة كَيْف ؟ هَل تَعَلَّمُهَا رَسْم بَعْض التَّفَاصِيل أَمْ مَاذَا ؟ لَم اِهْتَمّ وَاُتُّخِذَت طَرِيقِي إلَى هُنَاكَ وُفُور دُخُولِي أَنْسَى مَا كُنْت مُخَطَّطًا لَه ، بَل أَنَّنِي نَسِيَت أن عَلَيَّ أَنْ اسْتَفَز مشاعرها لتبوح بِمَا لَدَيْهَا . . . فَأَنَا الْآنَ مِنْ يُشْعِر بِفَيْض مِنْ أَشْيَاءَ يَرْغَبُ فِي تَسْلِيمُهَا لَهَا مَعَ مِفْتَاح قَلْبِه !

أَوَّلُ مَا رَأَيْته عِنْد دُخُولِي كَانَتْ رُقْيَةٌ تَجْلِسُ عَلَى أَحَدِ الْكَرَاسِيّ الجِلْدِيَّة الْكَبِيرَة ، وأمامها حَامِلٌ مَعْدِنِيٌّ كَبِيرٌ تَعَلَّق عَلَيْهِ بَعْضُ الفساتين السيواريه ، وَلَيْس لِأَصَالَة وُجُود ، جَلَسَت وَقَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ رُقَيَّة عَنْهَا فَإِذَا بِأَصَالَة الْأُنْثَى تَخْرُج إلَيْنَا حَامِلِه جَانِبَي فُسْتان عُرْس تَرْتَديه وتتحدث إلَى رُقَيَّة وَلَا تُلَاحِظ وُجُودِيٌّ ؛ فَأَنَا اجْلِس خَلْف حَامِلٌ الفساتين وَأَرَاهَا مِنْ بَيْنِهِمْ . . .

رُقَيَّة تبتسم وتقاوم الضَّحِك ، وَأَنَا أَظُنّ أَنِي أَحْلَم الْآن . . . قَد جَذَبْتَنِي أَصَالَة الطِّفْلَة المخبئة خَلْف أَرْقَام عُمْرِهَا وَالَّتِي لاحظتها مِنْ أَوَّلِ لِقَاءٍ بَيْنَنَا ، لَكِن الْيَوْم اقتحمتني تِلْك الْأَصَالَة الْجَدِيدَة . . . كَانَت تَدُور بفستانها وتتحدث عَن كَم أَنَّهَا تَعَشَّق الفساتين صَاحِبِه الزيل الطَّوِيل . . . وَأَنَا أَرَى أَنَّهَا مُحِقَّة ، فَهِي تَلِيق بِأَن تَتَشَبَّه بالأميرات بِهَذَا الفُسْتَان . . .

وبحركة غَيْر مُتَوَقِّعَة وَجَدْتهَا تَتَّجِه نَحْو حَامِلِ الفساتين الَّذِي اجْلِس خَلْفَه وَهِيَ لَا تُعْلَمُ . . . كَانَتْ تَقُولُ لِرُقِيّه أَنَّهَا ستختار الأَزْرَق لترتديه وَيَقُومُوا بِتَجْرِبَتِه ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ عَنْ أَيِّ أَزْرَق تَتَحَدّث ؟ وَإِذَا بِهَا تَقُوم بِتَحْرِيك الفساتين لِأَخْذ الأَزْرَق فَتَجِدُنِي أَمَامَهَا ، صَرَخَت فَزَعُه وَإِذَا بَرْقِيَّة تَنْفَجِر ضحكاً . . . أَنَا آسَف أَصَالَة فَأَنَا أيضاً لَمْ أَتَمَالَك نَفْسِي انْطَلَقْت ضحكاتي وَأَنَا أَنْظُرُ لِكَي بَعْدَمَا صرختي وركضتي لِلدَّاخِل . .

دَخَلَت رُقَيَّة الغُرْفَة إلَيْهَا ، انْتَظَرَت أَنَا بِالْخَارِج أتأمل الْمَكَان وأبتسم فشعرت أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِالْمَكَان بِهِ جُزْءٌ مِنْهَا . . . هُدُوء الأَضْوَاء وَأَلْوَان الْجُدْرَان رَقِيقِه مِثْلِهَا . . تُمْزَج بَيَّنَ أَقَلَّ دَرَجَةً مِنْ اللَّوْنِ الأخْضَرُ ، مَع

الْأَبْيَض والرمادي . . وَتَتَدَاخَلُ فِي أَلْوَان الأثَاث والديكورات وزُهُور دُوار الشَّمْس . . .

قَائِمَةُ الْأَغَانِي الْخَاصَّة بِهَا عَلَى السماعات الْكَبِيرَة الْخَاصَّة بِالْمَكَان مُتَنَوِّعَةٌ كَتَعَدُّد شخصياتها ، تصميمها غَيْر تَقْلِيدِيَّة . . كتميزها . .

تَعَجَّبْت مِنْ نَفْسِي فَمَتَى عَلِمْت عَنْهَا هَذِه التَّفَاصِيل ؟ رُبَّمَا تركيزي مَعَهَا هَذِهِ الْأَيَّامِ جَعَل عَقْلِيٌّ يَقُوم بِتَحْلِيل شخصيتها تلقائياً . . . كُنْت واقفا أمام مِرْآة كَبِيرَة مُعَلَّقَة بِأَحَد الْجُدْرَان أَنْظُرُ إِلَى انْعِكَاس صُورَتَي وأفكر حتى ظهرتا مِنْ خَلْفِي ، وَعَادَت أَصَالَة الَبريئة بِهُدُوء حِجَابَهَا وردائها الْوَرْدِيّ وَنَظَرُة الْخَجَل الَّتِى تَمِيل فِيهَا وَجْهِهَا لِأَسْفَل وَتَنْظُر لِلْأَرْض . . . . لَكِنَّنِي لَمْ أعُدْ أَرَاهَا تِلْك الطِّفْلَة . . فَقَد خَلَد عَقْلِيٌّ صُورَة أَصَالَة الصَّارِخَة بِالْأُنُوثَة وَالْجَمَال الَّتِى تلاقيت بِهَا مُنْذُ دَقَائِق . .

الْتَفَت إِلَيْهِمَا واعتذرت مِنْهَا :

-بعتذر عَلِيّ اللَّيّ حَصَل ، بِس مالحقتش رُقَيَّة تبلغك لِأَنِّي كُنْت لسه دَاخِلٌ .

تَرَمَّق رُقَيَّة بِلَوْم وَرُقَيّة مازالَت تُقَاوِم الضَّحِك المتبقي دَاخِلِهَا ، تَحَدّثَت إِلَيّ بِصَوْت خَافِض :

-حصل خَيْرٌ . .

--حلو الْمَكَان . . زوقك لَذِيذٌ ، وتصاميمك حَقِيقِيٌّ الصُّوَر رَغِم جَمَالِهَا إِلَّا أَنَّهَا ظالماها .

حَانَ وَقْتُ الْخُطَّة رُقِم 3 وَسَوْف نَعُود لِلَّتِي قَبْلَهَا فِي وَقْتِ لاَحِقٍ . . . حَانَ وَقْتُ الِاهْتِمَام .

******

"أصالة"

أَتَحَدّث عَلِيّ الْهَاتِف بَعْدَ انْتِهَاءِ الْيَوْم وذهابي لِلْمُنْزَل أَخْتَبِئ فِي أَحْضان وسادتي ، كُنْت أَقَصّ عَلَى مَيَّادَة وَأَنَا فِي قِمَّةٍ توتري وخجلي ، وَهِيَ الَّتِي طِوَال حَدِيثَي تَضْحَك . .

-يا جزممممة يَا ميادة ، اسْكُتِي بَقِى بطلي ضَحِك وَاَللَّه هعيط بِجِدّ أَنَا محرجة أووووي .

--ومحرجة لَيَّة بِس ؟ دا أَنَا كَانَ نَفْسِي اووي أَكُون حَاضِرَة الْمَوْقِف ، ماكنتش هسيبك وهقضيها تُرِيقُه وَضَحِك عليكي.

-أنا أصلاً أُمِّي ماربتنيش ، مَا أَصْلُ لَو ربتني مَا كنتش صَاحِبَتِك ياعرة الصِّحَاب .

ضَحِكْت ، وسألتني :

-بس احكيلي رُدَّ فِعْلُهُ كَانَ آيَه ؟

اِبتسَمَت وخجلت أَكْثَر عِنْدَمَا تَذَكَّرْت :

-كان بيضحك جَامِد ، كَانَتْ أَوّلَ مَرَّةٍ أَسْمَع ضحكته اللَّيّ مِنْ قَلْبِهِ ، وَطُول الْوَقْتِ بَعْدَ ما غيرت وَخَرَجَت تَانِّي لَيَّه كَان باصصلي ومبتسم آوِي .

أسعدها حَدِيثَي وظلت تَجْعَلْنِي أَسْرُد عَلَيْهَا كُلُّ التَّفَاصِيل أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وتسمعها بمرح وسعادة وصلاني مِن نبرتها وحماسها ، حَدَّثَتْهَا عَن إِعْجابَه بالاتيليه وبتصاميمي ، وَحَدَّثَتْهَا عَن انْتِظَارُه لِي لِأَنَّ أَغْلَق الْمَكَان وأعود لِلْمُنْزَل وَأَنَّه أَم يَتْرُكْنِي أَرْحَل بمفردي بَلْ أَخَذَ رُقَيَّة وَأَخَذَنِي واوصلاني لِلْمُنْزَل . . تساءلت :

-ولسه مُصَدِّقَةٌ كَلَام اللَّيّ حواليكي أَنَّ كُلَّ اللَّيّ أنتي عايشاه دَه وَهُم ؟

تَنَهَّدْت بِهِم ثَقِيلٌ تَثَاقَلَت مَعَه كلماتي وَتَبَدَّلَت حَالَتَي بَعْدَ هَذَا السُّؤَالِ لِأَعُود لخوفي ، أَجَبْت :

-بدأت أَحَسّ إنْ هُوَ شَخْصِيَّةٌ راقية وراجل ذَوْق لَيْسَ إلَّا ، وَأَنَّ كُلَّ اللَّيّ بَيَّتُّم دَه لِأَنّ دَه طَبْعِه مَش لِشَيْء أَبْعَدُ مِنْ دَه .

--لا يَا أَصَالَة أنتي خايفة تَصَدَّقِي الْوَاقِع ، رَغِم إنَّك صَدَقَتِي الْوَهْم واستنتيه . . لَيَّة لِمَا جه الْوَاقِع مابقتيش مصدقاه ؟

-علشان الْوَاقِع مَلْمُوسٌ . . لَو اتأكدت أَنَّهُ كَانَ وَهُم أَنَا هتكسر بِجِدّ . وَالْكَسْر الْمَرَّة دِي هيقضي عَلِيَّا علشان اللَّيّ ضحيت بيه مَش قَلِيلٌ . . أَنَا ضحيت بِسِنِين مِنْ عُمْرِي ، وبمجهود ، وَصَبَر . . ضحيت بِرَاحَة بَال وبساعات نَوْم وَتَرْكِيز ، ضحيت بِتَقَبُّل كَلَام جَارِح وَمُهَاجَمَة وبأوقات صَعْبَة كَان قُدَّامِي اخْتِيَارَاتٌ كتير مِنْ نَاسَ قَادِرِين يَكُونُوا جَنْبِي فِيهَا لَكِنِّي كُنْت مستنية وُجُودَهُ هُوَ فَانْتَظَرَت وعانيت الْوَحْدَة وَالْأُمِّيّ مَعَ الْأُمِّ الِانْتِظَار . . بَل دَه كِمَّان انْتِظَار وَهُم ياعالم هيكون حَقِيقِيّ وَلَا هكتشف أَنِّي كُنْتُ بحارب علشان سَرَابٌ . . . تفتكري بَعْدَ كُلِّ دَه مَش هخاف أَصْدَق ؟

زَفَرَت بِقِلَّة حِيلَة واجابت :

-عندك حَقّ . . بس أَنَا متفائلة خَيْرٌ وبدعيلك . . رَبَّنَا يَجْعَلُهُ مِنْ نَصِيبَك .

طَال حَدِيثَنَا فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ ، وَفِي لَحْظِهِ مَا اسْتَأْذَنَت مَيَّادَة لتصمت دَقِيقَةٌ لِتُفْعَل شَيْءٌ مَا ، وَأَثْنَاء صمتنا عَلَى سَمَاعِهِ الْهَاتِف قَرَّرْتَ أَنَّ أُلْقِيَ نَظَرُهُ عَلَى تَطْبِيقِ الواتساب فَلَمْ أَجِدْ مَا يُثِير الِاهْتِمَام ، دَخَلَت لَأَنْظُرُ إلَى حَالَات الْأَشْخَاص لَيَمُر الْمِلَل فَوَجَدْت حَالَة لمهاب ، أَسْرَعَت فِي دُخُولِي إلَيْهَا . . . لَا أَدْرِي مَا الَّذِي أَقُولُهُ ، لَكِنَّنِي شَعَرْت بالخذلان وَبَكَيْت وَأَغْلَقْت هاتِفِي بِالْكَامِل لِأَقْضِي اللَّيْلِ فِي أَحْضان وِسَادَتِي أَبْكِي . . . فَإِنَّهُ لَا يَرَانِي .

هُوَ فَقَطْ زِير نِسَاء !

***

"مهاب"

فتِحَت صُورَة الْهَدِيَّة الَّتِى أَتَتْنِي مِنْ إحْدَى العملاء مُنْذ أَسَابِيع ، وَضَعْتُهَا عَلِيّ حَالَتَي عَلَى واتساب وَكَتَبْت جُمْلَة صَغِيرَةً لَا يَتَّضِحُ مِنْهَا سَبَبٌ الْهَدِيَّة وَمَنْ مِنْ . . فَقَطْ مَا ستفهمه هَذِهِ الْهَدِيَّةُ مِنْ أُنْثَى . . وَأَنَا أَحْبَبْت الْهَدِيَّة كثيراً . .

كَانَ الْوَقْتُ قَدْ حَانَ للخطة رُقِم 2 . . يَجِبُ أَنْ أَثِير غيرتها ، تِلْك العنيدة ستعترف بِمَا لَدَيْهَا قريباً وَلَن اِسْتَسْلَم . . . أَلَم تُطْلَب مِنِّي هَذَا مِنْ قِبَلِ فِي أَحْلاَمِي ؟ فلنرى مِن مِنَّا سَيَسْتَسْلِم . . .

كُنْت أَحْمَق لِأَنَّنِي ظَنَنْتُ أَنَّ سَيَكُونُ لَهَا رَدُّة فَعَل ، وَلَمَّا سَيَكُون لَهَا رَدُّة فَعَل !

مَرّ يَوْمَيْنِ لَمْ أحادثها رَغِم أَنَّنِي أَرْغَبُ وبشدة . . لَكِنَّنِي لَسْت هَذَا الشَّخْصِ الْمُتَسَاهَل والمتسرع . . لَكِن أيضاً أُرَاقِب وَانْتَظَرَ أَنْ تَبْدَأَ الْحَدِيث هَذِهِ الْمَرَّةِ . .

يَوْمَيْن أَرَهَا تتواجد عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُل الاجْتِمَاعِيّ ، تَضْحَكُ مَعَ هَذَا ، وتنشر صُورَتُهَا مَعَ هَذِهِ ، وَلَم تُعَيِّرَنِي أَي اهْتِمَام . . لِمَا انْتَظَر اهتماماً أَنَا فَقَط احْتَاجَ أَنْ أَعْلَمَ حَقِيقَةُ مَا تخبئه عَنِّي ويخصني !

أَشْعَر أنِي مشتت بِشَكْل مَبَالِغ فِيه ، مِن الْمُفْتَرِض أنني أُحَاوِل مُحَارَبَة ثَبَاتِهَا ، لِمَاذَا أَنَا مِنْ صُبْرَةٍ يَنْفُذ ؟

لِمَا اراقبها فِي كُلِّ وَقْتٍ ؟ وَمَا الَّذِي يَجْعَلَنِي احْتَاج محادثتها طَوَالَ الوَقْتِ ؟

وَمَا سَبَبُ حبّي لِرُؤْيَتِهَا ورغبتي فِي تَكْرَارِ ذَلِكَ ؟

قَرَّرْت مُقَاوَمَة هَذَا الْأَمْر وَإِلَّا أَرْضَخ لمشاعري وَلَم اذْهَب هَذِهِ الْمَرَّةِ لِإيصَال رُقَيَّة أَو قُدُومِي لِأَخْذِهَا . . رُبَّمَا تبعث لِي بِرِسَالَة تَسْأَلُنِي لَمَّا لَمْ أَفْعَلْ واستطيع تَكْمِلَة مخططي فِي إنْهَاء رصيدها مِن الْعُنّد .

لَمْ أَقْدِرْ . . لَمْ أَسْتَسْلِمْ لمشاعري لَكِنِّي لَمْ أَقْدِرْ ألَّا أَرَاهَا . . . أَنَا اعْتَرَف ، أَحْبَبْت الطَّرِيقَةِ الَّتِي تبتسم بِهَا ، وَأَحْبَبْت حَدِيثِهَا وَطَرِيقَة نُطْقُهَا لِلْكَلِمَات . . فلديها ثَقُل بَسِيطٌ فِي بَعْضِ الأَحْرُفِ يَجْعَل مَخَارِج حُرُوفِهَا تجذبك لتسمعها.

أَحَبّ لُمْعَة عَيْنَاهَا وَحَدِيثُهُم ، يغزوني خجلها فأعشق اخجالها كَي اِسْتَمْتَع بِحُمْرَة وجنتيها وتوتر حركاتها وَنُعُومَة نبرتها . .

كَانَ كُلُّ هَذَا كَفِيلًا ليجعلني اذْهَب بَعْدَ انْتِهَاءِ عَمَلِي لأقف بعيداً عَن الاتيليه اراقبها وَهِي تُودَع رُقَيَّة ، بمرحها ، وتلقائيتها الَّتِي حَدَّثَتْنِي عَنْهُم رُقَيَّة كثيراً . . كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ خَلْفَ ذَلِك الْخَجَل ، وَتِلْك الطِّفْلَة . . كَثِيرٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَة وَالْمُمَيّزَة الَّتِي تَخْتَبِئ مِنِّي تحديداً . . فَبَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ صِرْت أَمَر يومياً مِنْ أمَامِ الاتيليه دُونَ أَنْ أَجْعَلَهَا تلحظني . . . كثيراً مَا رَأَيْتَهَا تتعامل مَعَ عَامِلِ التوصيل ، أَصْحَاب الْمَحَلَّات الْمُحِيطَة بِهَا . . . وَبَعْض العملاء . . . كَانَت تِلْقائِيَّةٌ . . لبقة فِي الْحَدِيثِ ، كَشَخْص قَوِيٌّ لَه قَرَارَاتٌ صَارِمَة ، وَكَلِمَة لَا يَطُولُ بَعْدَهَا الْحَدِيث . . . كُنْت فِي كُلِّ مَرَّةٍ اتفاجأ ! تتعامل مَعَ رِجَالٍ آخَرِين بِشَكْل طَبِيعِيٌّ ، لِمَا أَنَا يمتلكها كَم الهُدوء والخَجَل أَمَامِي ؟

انْتَظَرَت لِأَيَّام . انْتَظَر مِنْهَا البَدْءَ فِي التَّحَدُّثِ ، كَان انْتِظَارِي يَجْعَلَنِي أُرَاقِب أَكْثَر فَأَزْيَد مِن تَعَلُّقِي بِهالَة النُّور وَالتَّفَاصِيل الَّتِي أضافَتُهَا لِحَيَاتِي أَكْثَر . . . عَلِمْت حِينِهَا أَنَّنِي مَنْ وَقَعَ فِي شِرْكُ أَعْمَالِه . . . لَقَدْ كَانَتْ عَلَى

حَقّ ، أَنَّا لَمْ أُطِيق مَعَهَا صبراً . . اعْتَرَف قَد هزمتني أَصَالَة . . . وَسَيَبْقَى اتِّفَاقِيٌّ مَع رُقَيَّة كَمَا كَانَ لَكِنَّ سيتغير شَيْءٍ صَغيرٍ فَقَطْ . .

لَكِنْ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ ، عَلَيَّ أَنْ أُحَارِب لِأَجْل قراري . . . لَعَلَّهَا تُصِيب هَذِهِ الْمَرَّةِ . .

10

"أصالة"

قَدْ كَانَتْ أَيَّامُ قَاسِيَة . . . أَيَّام تَمْر وَأَنَا أَيْقَن مَع موروها بِأَن الْجَمِيع محقين وَأَنَا المخطئة . . . عَاد لصمته وَعَدَم تواجده ، وَانْتَبَه لِمَن تَأْتِي لَهُ بِالْهَدَايَا ، وَمَن يشعروه بِكُم أَنَّهُ مُمَيّزٌ . . . أَدْرَكْت حقاً أَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ فَقَط يغزله عَقْلِيٌّ ليدفئ مشاعري الَّتِى دائماً مَا كان اِرْتِجَافٌ الْوَحْدَة قارِسا عَلَيْهَا . .

كُنْت أَشُكّ فَقَط . . أُحَاوِل إِقْنَاعٌ نَفْسِي بِأَنَّ مَا أَدْرَكَهُ خَاطِئًا ، لِيُحْدِث مَا يُسْحَب الرُّوحِ مِنِّي دُون رَحِمَه . . مَرّ أُسْبُوع وَنِصْف ، الْيَوْمِ الرَّابِع لِرُقِيّه فِي حصصها لِلتَّعَلُّم مَعِي . . . كَانَ الْعَمَلُ قَدْ عَادَ لطبيعته ، وَعَادَت الْفَتَيَات العاملات مَعِي فِي الْمَكَانِ مِمَّا جَعَلَنِي أَسْتَطِيع أَخَذ رَاحَتِي مَعَ رُقْيَةً فِي غُرْفَةٍ دَاخِلِيَّة بَعِيدَةٍ عَنْ الزّحَام والضوضاء . . . كُنْت انتظرها دَاخِلٌ الغُرْفَة أَشْرَب النيسكافيه الْخَاصّ بِي بِدُونِ أَنْ أَشْعَر بِطَعْمِه ، فَكُلُّ شَيْءٍ أَصْبَح يَخْتَلِط بِالْحُزْن الْمَخْزَن دَاخِلٌ حَلْقِي لِيُصْبِح مَذاقَه مراً . .

كَانَت متحمسة أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَرَّةً وَلَمْ تُعْطِيَنِي فِرْصَة لأسأل ، فَأَطْلَقْت رصاصتها الْأَخِيرَة دَاخِلٌ قَلْبِي لِيَنْتَهِي مَعَهَا كُلَّ شَيْءٍ . . . وَأَنَا .

-سيبي سيبي كُلّ دَه ، مافيش كورس النهاردة ، أنتي هتفصليلي فُسْتان وَلَازِمٌ يَخْلُص بِسُرْعَة . . .

ابْتَلَعَت مَا فِي فَمِي بِصُعُوبَة وَسَأَلْت :

-أيه ، عِنْدَك مُنَاسَبَةٌ مُهِمَّةٌ وَلاَ آيَه ؟

--ايوا طبعاً عمو مَهَابّ رَاح يَتَقَدَّم لِبِنْت وشكلهم كَدِّه مُوَافِقَيْن وَلَازِمٌ أَكُون جَاهِزَةٌ للخطوبة .

******

"مهاب"

حزيناً . . رَغِم تحمسي وسعادتي لِأَنَّنِي اتَّخَذَت قَرَار حَاسِم لَنْ أَتَراجَعَ وَلَن أَتَرَدَّد فِيهِ هَذِهِ الْمَرَّةِ . . فَقَدِ اكْتَفَيْتُ مِن الِانْتِظَار .

فَقَد حَدَثَت وَالِدِي بِالْأَمْس وَهَذِه الْمَرَّة لَم أَصْمَت كعادتي . .

-هو أَنْت مَش واخد بَالُك إنِّي بِكِبَر فِي السِّنّ ! مَش شايف أَن عُمْري بيجري وَأَنَا لواحدي ولسه ماارتبطتش وَلَا خَطَبْت وَلَا بسمح لمشاعري تَرُوح لحَدّ ؟

--طيب وَهُوَ أَنَّا مَنَعَتْك ؟ مَا تَشَوَّفَ يابني اللَّيّ تَرْتَاح لَيْهَا وَنَسْأَل عَلَى أَهْلِهَا وتتقدم لَهَا !

تَحَدّثَت بِالْأُمّ السِّنِينَ الَّتِي مَضَتْ وأمضيتها انْتَظَر وُجُودِه بِجَانِبَي

-نسأل ؟ مَيْن اللَّيّ يَسْأَل ؟ أَنْت مَش مَوْجُودٌ . . أَنْت بتتكلم كَأَنَّه سَهْل عَلِيَّا إنّي أَخْطَب واتجوز وَأَنَا لواحدي ؟ تَأَنّي هتقولي أَخُوك معاك ؟ بِس أَنَا عايز ابويا فِي ضهري . . مَش قَادِرٌ اخد الْخُطْوَة وَأَنَا لواحدي ، مَش قَادِرٌ أَكُون لواحدي فِي دِي . . أَنَا اِسْتَحْمَلْت حَاجَات كتير آوِي أَنْتُم مَش معايا فِيهَا لَكِنْ صَدَقَنِي فِي دِي مَش هقدر

تفتكر مالاقتهاش ؟ لَقِيتَهَا ، وَلَقِيت قَبْلَهَا اِكْتَر مِنْ حَدّ بِس فِي كُلّ مَرَّةٍ كُنْت باجي لِلْجَدّ وبقف . . بِس الْمُرَادِيّ مَش قَادِرٌ ، مَش هينفع تَضِيع مِنْ أَيْدِي .

--بس أَنْتَ كُنْتَ مفهمني غَيْر كَدِّه يَا مهاب يَا ابْنِي ، ماكنتش عَارِف أَن وُجُودِيٌّ هُو اللَّيّ فَارَق معاك . . أَنَا كُنْت مُفَكِّر أَن اللَّيّ أَنْت مستنيه يَحْصُلَ هُوَ اللَّيّ معطلك لَيَّه ماصارحتنيش ؟

أَخْبَرَتْه . . أَخْبَرَتْه بِأَنَّنِي لَمْ أَرْغَبْ فِي الظُّهُور بِضَعْف الْأَطْفَال وَابْكِي لَهُ كَيْ يَأْتِي ، كُنْتُ أُرِيدُهُ أَنْ يَرْغَبَ هُوَ فِي معانقتي ، أَنْ يَقِفَ جَانِبَي وَيَدُهُ فِي يَدِ وَالِدٌ مِنْ سَتَكُون خطيبتي . . كَثِيرٍ مِنْ التَّفَاصِيلِ كُنْت أَرْغَبُ فِي أَنَّ أَشْعَر مَحَبَّتِه لِوُجُودِهِ فِيهَا لَا أَجْبَرَه ، أَنَا لَسْت حزيناً لِهَذَا الْآن . . . بَل أننني حَزِينٌ لِأَنَّنِي احزنته وَأَشْعَرْتُه بِالْعَجْز الَّذِي يُجْبِرُهُ عَلَى الإِبْتِعَاد عَنِّي

قَرَّرْتَ أَنَّ أَذْهَبَ وَحْدِي بَعْدَمَا حَاوَلْت أَنْ أَوْضَحَ لَهُ أَنَّنِي أتفهم ، وأنني لَسْت حزيناً الْآن . . وَأَنَّنِي سأطلعه عَلَى كُلّ التَّفَاصِيل لِحِين اسْتِطَاعَتِه لِلْمَجِيء ، لَكِنَّنِي حقاً كُنْتُ أَشْعُرُ بِالْحُزْن وَأَنَا اتَّصَل بوالدها وَأَخْبَرَه بِأَنَّنِي أَرْغَبُ فِي لِقَائِه . . وَأَنَا وحيداً .

وَأُخِذَت موعداً مَعَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْ اتصالي بِه ، واتفقنا أَنْ أَذْهَبَ لَهُ فِي الْعَمَلِ ، كُنْت قَدْ أَعْلَمْت رُقَيَّة بِالتَّغَيُّر فِي الِاتِّفَاقِ فَرُقَيَّة أَحَبَّت أَصَالَة وَاعْلَم بِأَنَّهَا ستفرح بِشِدَّة عِنْدَمَا تَعْلَم . . . أَخْبَرَتْهَا بِأَنَّهَا ستقول لَهَا بِمَا أَخْبَرَتْهَا بِه ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ لَيْس لتثير استفزازها . . . بَل لِأَنَّنِي سأذهب لخطبتها بِالْفِعْل وَارْغَب فِي مفاجأتها . . وسنرى كَيْف ستستطيع إِخْفَاء لغزها

الْغَامِض عَنْ زَوْجِهَا المستقبلي . . . وَلَكِنَّنِي لَمْ أَكُنْ اعْلَمْ بِأَنَّ مَا ينتظرني لَيْس خيراً .

****

"أصالة"

عِنْدَمَا لَم أُجِيب عَلِيّ اِتِّصَالاَتٌ مَيَّادَة بَعْدَمَا بَعَثَت لَهَا رِسَالَتِي الْأَخِيرَة واختفيت قَدْ كَانَتْ فِي مَنْزِلِي بَعْدَ سَاعَاتٍ ، فتِحَتْ لَهَا وَالِدَتِي بَاب الشُّقَّة وأخبرتها بِأَنَّنِي لَسْت بِالْمَنْزِل وَتَتَّصِل بِي وَلَا أُجِيب مُنْذُ الصَّبَاحِ ، تَبْكِي بَعْدَمَا فُتِحَتْ رِسَالَتِي لتقرأها أُمِّي

" مَهَابّ خطوبته النهارده . . هُمَا كَانَ عِنْدَهُمْ حَقّ . . أَنَا اللَّيّ كُنْت بِتَوَهُّم . . غَلِطْت وَلِكُلّ غَلَطٌ عِقَاب وَأَنَا اللَّيّ هعاقب نَفْسِي بنفسي"

أخافتهم كلماتي فَبَكَت أُمِّي أيضاً ، واستيقظت سهيلة مِنْ النَّوْمِ عَلِيّ صوتهم ، وَبَعْد قِرَاءَتِهَا لِلرِّسَالَة انتابها القَلَق . . أَثْنَاء تفكيرهم هَل سأؤذي نَفْسِي ؟ أَوْ أَيْنَ أَنَا الْآنَ ؟ وَكَيْف سيجدونني ؟ طُرُق الْبَابِ قُبِلَ أَنْ يَنْفَتِح ويجدهم وَالِدِي بِتِلْكَ الْحَالَةِ عِنْدَ دُخُولِهِ فيتساءل بقلق ، عَمَّا يُحَدِّثُ !

سَأَلْت سهيلة :

-أنت ماتعرفش فِين أَصَالَة يَا بَابَا ؟

جاوبهم بتعجب :

-هي ماكلمتكوش ؟ أَنَا كُنْت قَائِلُهَا تُبَلِّغُكُم !

تساءلت وَالِدَتِي بلهفة :

-تقولنا عَلَى آيَه ؟

--كانت اتَّصَلَت بِيَا الصُّبْح تُطْلَب مِنِّي أُكَلِّم أَحْمَد يَجِئ النهاردة علشان نَتَّفِق معاه عَلَى تَفَاصِيلِ الخطوبة . . . وتقريبا كَانَت هتروح تَشْتَرِي طَقْم جَدِيد .

نَظَرٌ ثَلاثَتُهُم لِبَعْضِهِم الْبَعْض ، وَقَبْلَ أَنْ تَتَحَدّث إِحْدَاهُمَا فَقَدْ أَدْرَكَ الْجَمِيعِ مَا الْعِقَابِ الَّذِي اخْتَارَتْه لِنَفْسِهَا ، أَضَاف الْوَالِد :

-بس هِي اتأخرت لَيَّه ؟ دِي الْمَفْرُوض كَانَتْ تَكُونُ فِي الْبَيْتِ مِنْ الْعَصْرِ ! وبعدين بِتَصِل بيها مِن بَدْرِيٌّ علشان أَبْلَغُهَا بِالْجَدِيد اللِّيّ حَصَل بِس مَش بترد .

تساءلت مَيَّادَة :

-جديد آيَه اللِّيّ حَصَل يَا عمو ؟

-مهاب . . .

تساءلن الثَّلَاثَة بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

-ماله مَهَابّ ؟

جَلَس وَالِدِي وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بترقب وَحِيرَة ، فَمَاذَا يُحَدِّث ؟

-في آيَه ؟ آيَه اللِّيّ حَاصِل معاكم أَنْتُم التلاته هُوَ فِي حَاجَةٍ أَنَا مَش عارفها؟

جَلَسَت وَالِدَتِي عَلَى الْأَرِيكَة أَمَامِه وَقَالَت :

-هنبقى نفهمك يَا حَاجّ ، بِس فَهِمْنَا بِاَللَّهِ عَلَيْك فِي آيَه حَصَّلَ ؟ مَهَابّ مَالِه ؟

تَحْدُث بتلقائية وَثَبَات :

-بعد مَا كَلَّمْت أَحْمَد وَاتَّفَقَت معاه يَجِئ النهارده بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ هُوَ وَوَالِدُهُ ، لَقِيت مَهَابّ بيتصل بِيَا وبيقولي عايز اجي أَقْعَد معاك شُوَيَّة وجالي الشُّغْل ولقيته بيطلب مَنِيٌّ أَنَّهُ يَتَجَوَّز أَصَالَة . .

كَانَت مَيَّادَة وَاقِفَة وَمَع كَلِمَاتِه جَلَسَت أَرْضًا تَبْكِي . . لَا تُعْلَمُ اتلك دُمُوع سَعَادَة طَال انْتِظَارُهَا ، أَم قهراً عَلَى قَلْبِ صديقتها المحطم وَاَلَّتِي لَا تُعْلَمُ أَنَّهَا تِلْك الْعَرُوس الَّتِى تتحطم بِسَبَبِهَا الْآن . .

صَرَخَت سهيلة بِحَمَاس وَجَلَسَت بِجِوَار وَالِدَهَا وَتَسْأَلُه هِي ووالدتها بلهفة وَعُيُون دَامِعَة :

-وأنت قلتله آيَه ؟

--جرا إيهِ يَا جَمَاعَةٍ مَا تفهموني فِي آيَه؟

-والله يَا بَابَّا هنفهمك بِس عَرَفْنَا قُلْت آيَه ؟

--هكون قُلْت آيَه يَعْنِي ؟ قلتله الطَّبِيعِيّ ، لَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ ، قلتله فِي وَاحِدٍ مُنَاسِبٌ وَهِيَ مُوَافِقَةٌ تَقْعُد تَتَعَرَّف عَلَيْهِ وَإِنْ لَو ماحصلش نَصِيبٌ فِي الْقَاعِدَةِ اللَّيّ هتحصل دِي هكلمه . .

تساءلت مَيَّادَة بِفَزَع أَكْبَر :

-وهو رَدّ قَالَ آيَه؟

--فضل يقولي أَنَّهُ هُوَ كِمَّان يُنَاسِب لَهَا وَأَنَّهُ قَادِرٌ يُسْعِدُهَا وَكَلَام كتير مِن دَه وَأَنَّه عايزني أُفَكِّر بِشَكْل أَكْبَرُ قَبْلَ خَطَوُه العَرِيس التَّأَنِّي دِي ، بِس طبعاً دَه كَلَام مَش مَنْطِقِي وماينفعش .

صَاح ثَلاثَتُهُم بِشِدَّة مِمَّا أَغْضَب وَالِدِي ، وَأَصَرّ أَنْ يَعْلَمَ الْأَمْر . . نَظَرْت سهيلة لوالدتي فاستسلمت وَبَدَأَت فِي أَنَّ تسرد لَهُ الْقِصَّةَ مِنْ بِدَايَتُهَا وُصُولًا بِرِسَالَتِي ، وتريه مَيَّادَة الْمُحَادَثَة بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَأَنَا أَحْكِي لَهَا بَعْضُ تَفَاصِيل رُؤْيَاي ، التَّفَاصِيل بالتواريخ وَالْأَدِلَّة . . كَانَ أَبِي يُتَابِع الْحَدِيث وَيُنْصِت لَهُ فِي صُمْت ، يُشَاهَد الرَّسَائِل وَالصُّوَر وصامتا يَنْظُر بدهشة . . كُلٌّ مِنْهُمْ يَحْكِي مَا يَتَذَكَّرْه بِسُرْعَة ، وَمَن حِينٍ لآخَرَ تَقُوم مَيَّادَة بِالِاتِّصَال بِي وَلَا أُجِيب ، صَاحَت فَجْأَة :

-اتقفل ، التليفون اتقفل . . يَا جَمَاعَةٌ أَلْحَقُوا .

بَعْدَمَا عَلِمَ وَالِدِي بِكُلِّ شَيْءٍ قَالَ :

-لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ . . . فَكُرّوا فِي الْمَكَانِ اللَّيّ مُمْكِنٌ تلاقوها فِيه ، آيَه اِكْتَر مَكَان يَا مَيَّادَة مُمْكِنٌ صَاحِبَتِك تَرَوُّحُه لِمَا تَكُون متضايقة .

كَانَتْ تَعْلَمُ مَيَّادَة لَكِنَّهَا أَنْكَرَت . . فَقَد جَاءَتْهَا فَكَرِه وَهَذِه الفِكْرَة خصيصاً الَّتِي أريدك أَن تتأنى فِي اخْتِيَار الْأَصْدِقَاء لِأَجْلِهَا يَا عَزيزِي . .

تَرَكْتهم يتناقشن وَاسْتَأْذَنْت لِتَدْخُل غُرْفَتِي تَتَحَدّث فِي الْهَاتِف ، وُفُور دُخُولِهَا اتَّصَلَت بمهاب الّذِي أَجَابَ فوراً

-أزيك يَا مَيَّادَة ؟

--احنا مَش لاقين أَصَالَة مِنْ وَقْتِ مَا عَرَفْت أَنّك هتخطب . .

-أيه ؟ أنتي أَكِيدٌ بتهزري صَحّ ؟ دَه مُقَلِّب طَيَّب ؟

بَكَت وَأَخْبَرْتُه بِأَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي العَرِيس الْآخَر ، لَكِنَّهَا حِيلَة هروبيه بِسَبَبِه . .

-بسببي ؟ لَيَّه بِسَبَبِي يَا مَيَّادَة ؟ أنتي عَارِفَة اللَّيّ أَصَالَة مخبياه عَنِّي صَحّ ؟

-كلنا عَارِفِين وَأَنْت لواحدك اللَّيّ مَش عَارِف يَا مَهَابّ لَلْأَسَف .

تَسَاءل بدهشة :

-كلكم ؟ كُلُّكُم مَيْن وازاي ؟

--ده الْمَفْرُوض تَعْرِفُهُ مِنْ أَصَالَةِ مَش مِنِّي ، وَمَا اعتقدش أَن دَه وَقْت مُنَاسِبٌ لِلنِّقَاش فِي حَاجَةٍ زِيّ دِي . . أَصَالَة تليفونها اتقفل بَعْدَ مَا كُنَّا بنرن عَلَيْهَا بقالنا سَاعَات . .

-طيب أَنَا أَقْدِر اعْمَل آيَه أساعد بيه ، فهميني .

--مش عَارِفَة ، بِس كُلّ اللَّيّ أَعْرِفُه أَن ماحدش هيقدر يَحِلّ اللَّيّ حَاصِل دَه غَيْرِك . . لَازِمٌ تثبتلها إِنَّك مَوْجُودٌ بِجِدّ وَإِنَّك مَش وَهُم .

صَاح قليلاً :

-يووه بَقِى ، هُوَ آيَه حِكَايَة إِنِّي مَش وَهُم دِي هُوَ أَنَا شَفَّافٌ لِلدُّرْجَة دِي ؟

--اكيد هتفهم كُلِّ حَاجَةٍ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِب .

زُفَر بِقِلَّة حِيلَة فَلَقَد أَيْقَنَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيع أَخَذ الْمَعْلُومَات الَّتِي يَنْتَظِر مَعْرِفَتِهَا مِنْ أَحَدِ غَيْرُ أَصَالَة

-طيب أنتي مَش عَارِفَة هِي فِين دلوقتي ؟

صَمَتَت مَيَّادَة ليفكر لِبَعْض الْوَقْت ليخمن ويسألها :

-في مَكَانَهَا الْمُعْتَاد صَحّ ؟

--ممكن . . اعْتَقَد . . مَش عَارِفَة .

-أنا عَارِف . .

******

"مهاب"

اِرْتَدَيْت ملابسي مِنْ جَدِيدٍ ، وَاتَّصَلَت بِصَدِيقِي لأستعير سَيَّارَتِه ، أَسْرَعَت فِي خَطَواتي لِمَنْزِلِه ، أَدَرَّت السَّيَّارَة وَانْطَلَقَت بِأَقْصَى مَا يُمْكِنَنِي مِنْ سُرْعَةِ ، لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مَا سيواجهني الْيَوْم ، أَعْلَم فَقَط أَنَنِي لَسْت أَنَا ! مشاعري ، أساليبي . . طَرِيقَتِي فِي التَّصَرُّفِ ، كُلّ شَيْءٍ تَغَيَّر فَجْأَة ، أَشْعَر وَكَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَحْدُثُ خَارِجٌ عَنْ إرادتني ، يُوَجِّهُنِي وَلَا أَتَصَرَّف بِكَامِل إرادتي . . أَشْعَر باقتراب شَيْءٌ مُفَاجِئًا . . !

وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ المنتزه الْكَبِير الْقَرِيبِ مِنْ بَلْدَتِهِمْ وَدَخَلَت أبْحَث عَنْهَا يميناً وَيَسَارًا . . أُحَاوِل أَن أَتَذْكُر أَيْنَ يَقَبع مَكَانَهَا الْمُفَضَّل ؟

حَتَّى لَمَحْتهَا مِنْ بَعِيدٍ ، تَقِف إمَام الْبَحِيرَة يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا سُوَرٌ حَدِيدِيٌّ ، تَقِف ثَابِتَةٌ وَالرِّيَاح تَبَعْثُرٌ حِجَابَهَا وفستانها الأَزْرَق فَتَتَطَايَر اطارفهما . .

اقْتَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ مَكَان وُقُوفِهَا بِخُطُوات بسيطة وَقَلْبِي يَنْبِض بِقُوَّة ، تَحَدّثَت فَلَم تَسْتَدِير مِنْ جَدِيدٍ :

-طيب أَنَا خَسِرْت التَّحَدِّي وماقدرتش اصْبِر اِكْتَر . . أنتي لسه الوَقْتِ الْمُنَاسِب ماجاش عِنْدَك ؟

لَمْ تَتَحَرَّكْ فقلقت ، تَحَدّثَت مِنْ جَدِيدٍ :

-أصالة ! أنتي طَيَّب مَش رَاضِيَة تبصيلي علشان بتعيطي ؟ وَلَا لسه مقتنعة إنّي مَش حَقِيقِيٌّ ؟

أَتَانِي صَوْتَهَا مُنْكَسِرٌ ، رَغِم حِدَتِه وهدوءه ! نَبْرَة تَحَدّثَت بِهَا ارعبتني . . ارعبتني لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ غَضَبِ وَهُم كَبِيرٌ :

-ما أَنْت فعلاً مَش حَقِيقِيٌّ . .

--بس أَنَا وَاقِفٌ وراكي فعلاً يَا أَصَالَة !

التَّفَتُّت لِتَنْظُر لِي بجفون متورمة وَأُعِين حَمْرَاء دَامِعَة ، تَتَحَدّث بشرود وتيه :

-ما أَنْتَ طُولَ الْوَقْت حواليا وَأَنْت مَش مَوْجُودٌ ! أَنْتَ طُولَ الْوَقْتِ حَاجَّةً مَلْمُوسَة ومرئية لِيَا أَنَا بِس ، كُلّ مَرَّةٍ كُنْت بِصِدْق وَجُودك وبتطلع مَش حَقِيقِيٌّ . . أَنَا بَطَلَت أَصْدَق . . أَنَا عَارِفَة إنّي بكلم نَفْسِي دلوقتي زِيّ كُلّ مَرَّةٍ .

اقْتَرَبَت مِنْهَا أَكْثَرَ وَأَشْعَر بِالْقَلَق مِن حَالَتِهَا تِلْك ، أُحَاوِل تَصْلِيح وَضْعٍ لَا أَفْهَمُهُ ، تساءلت :

-أزاي يَا أَصَالَة فهميني أَنَا مَش فاهِم ! الْكَلَام اللَّيّ بتقوليه دَه لَيَّه عِلاقَة بالشات اللَّيّ بَيْنِي وَبَيْنَك عَلَى التليفون صَحّ ؟

صَاحَت بِي :

-أفهمك ؟ أفهمك آيَه ؟ أفهمك إنّي مَجْنُونَة ؟ أحكيلك حَاجَات عشان ماتصدقهاش ؟ واحكيلك لَيَّه وَأَنْت مُجَرَّدُ خَيَالٍ ؟

--أصالة فَوْقِي بَقِى ، أَنَا مَش خَيَالٌ يَا أَصَالَة أَنَا مَهَابّ ، أَنَا قُدَّامَك أَهِي أَيْدِي أَهِي علشان تتأكدي إِنَّك مَش بتكلمي نَفْسِك فَوْقِي بَقِى . .

أَمْسَكَت طَرَف حِجَابَهَا الْمُتَطَايِر بِيَدِي وَوَضَعَتْه فِي يَدِهَا لتنتفض وَتَرْجِع خَطَوُه لِلْخُلْف ، وتتجمد دُمُوعُهَا فَوْق خَدَّيْهَا ، تَنْظُر لِي بِصَدْمَة ، أُنْظُر لعينيها واحاول تهدئتها :

-أنا مَوْجُودٌ يَا أَصَالَة . . أَنَا جِئْت خَلَاص !

سَأَلْتنِي :

-جيت أزاي ؟ أَنْت مَش الْمَفْرُوض خَطَبْت ؟

--لا يَا أَصَالَة مَا خطبتش . . وَوَقْت مَا فَكَّرْت أَخْطَب بِجِدّ أَوَّلِ حَدِّ فَكَّرْتَ فِيهِ أنتي . . .

جَلَسَتْ عَلَى الْمُقْعَدِ الخشبي خَلْفَهَا بِصَدْمَة ، ابْتَلَعَت رِيقِهَا وتساءلت بِأَحْرُف مبعثرة :

-ازاي ؟

لَمْ أَفْهَمْ مَقْصِدُهَا فَجَلَسْت بجوارها أُنْظُر لَهَا واتساءل :

-أزاي آيَه ؟

لَم تُجِيب وصمتت تَفَكَّر ، عَادَت بِنَظَرِهَا إِلَيّ وَسَأَلْت سُؤَال مُخْتَلَفٌ ، كَانَ حَدِيثُهَا مشتت ، لَا تَدْرِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَتَحَدّث :

-طيب . . لَيَّه ؟ لَيَّه دلوقتي ؟ . . لَيَّه مَش قَبْل كَدِّه ؟

--ليه مَش قَبْل كَدِّه آيَه؟

-ليه مَش مِنْ قِبَلِ كَدِّه فَكَّرْت ؟ لَيَّه دلوقتي بِس فَكَّرْت ؟

اِبتسَمَت :

-ومين قَالَ إِنِّي بتكلم عَلِيّ دلوقتي بِس ، أَنَا بتكلم مِنْ وَقْتِ ما عرفتك !

انْدَفَعَت سَائِلَةٌ :

-يعني آيَه ؟

--آه . . أنتي مِصْرِه تكسفيني يَعْنِي وتوقعيني فِي الْكَلَامِ . . بِس لَا مَش هتكسف . . بِبَساطَة يَعْنِي أَنَا مِنْ وَقْتِ مَا شوفتك وَأَنَا حاسس إِنِّي مَشْدُود ليكي ، وَفَكَّرْت اِكْتَر مِنْ مَرَّةٍ أَخْطُبُك .

تفاجأت . . فَقَد اِنْهَمَرَتْ دُمُوعُهَا فَجْأَة . . لَمْ يَكُنْ بُكَاء عادياً ، وَلَمْ يَكُنْ صامتاً . . كَان بُكَاء جَعَلَنِي اجْلِس أَمَامَهَا كالتمثال ، لَا أَفْهَمُ شَيْءٌ ، وَلَا أَسْتَطِع فِعْلِ شَيْءٍ ، فبكاءها هَذِهِ الْمَرَّةِ لمسني ، أَشْعَر أَنَّهَا تَبْكِي لِي لَيْسَ لِشَيْءٍ دَاخِلِهَا هِي . . كَانَت تَبْكِي وَتَنْظُر لِلسَّمَاء وَاضِعِه كلى كَفَّيْهَا عَلَى قَلْبِهَا وتتحدث إِلَى السَّمَاءِ بِصَوْت أَسْمَعْه

-شكراً يَا رَبِّ . . أَنَا كُنْت وَاثِقَةٌ . . . أَنْت ماخذلتنيش . .

تَتَكَرَّر الْجُمْلَة وَيَقْشَعِرّ بَدَنِي ، لَحْظَة لَن أنساها . . شَعَرْت بروحانية تحيطنا ، كَان مَشْهَدًا مَهِيبًا لَم أَرَى مثيله ، ذَلِك الْمَشْهَد اخْتَلَفَت حَيَاتِي بِالْكَامِل مِنْ بَعْدِهِ . . فَقَدْ عَلِمْت أَنَّ لِلَّهِ حُكْم خُفَّيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَدُور حَوْلِك . . مَهْمَا كَانَ قَاسِيا فَلَن يَكُونُ إِلَّا رزقاً . .

-أصالة . . هُوَ فِي آيَه ؟

نَظَرْت إلَيّ ، تبتسم اِبْتِسَامَةٌ صَادِقَةٌ وَتَبْكِي فِي نَفْسِ اللَّحْظَة فتربكني

-ربنا مَا خذلنيش . . أَنَا مَش مَجْنُونَة ومش بِتَوَهُّم ، أَنْت حَقِيقَة . . كُلّ حَاجَةٍ شوفتها كَانَتْ حَقِيقَةٌ يَا مَهَابّ .

--حاجات آيَه اللَّيّ شوفتيها ؟

مازالَت تَبْكِي وحركاتها مرتبكة ، تَقِف وَتَتَحَرَّك يميناً وَيَسَارًا وَتَعُود مِنْ جَدِيدٍ لِتَجْلِس ، حَاوَلَت تهدأتها لَكِنَّهَا ظَلَّت تُخْبِرُنِي بِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدَأ ، وَفِي النِّهَايَةِ طَلَبْت أَنْ تَتَحَدّث إلَى مَيَّادَة فَاتَّصَلَت بِهَا وأعطيتها الْهَاتِف

كُنْت أَظُنُّ أَنَّهَا ستهدأ ، لَكِنَّهَا فَوْر أَنْ سَمِعْت صَوْتَ مَيَّادَة بَكَت بِحَرْقِه أَكْبَر وظلت تَرَدَّد جُمْلَتِهَا ، أَخْبَرَتْهَا بِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَتَوَهَّم . . أَخْبَرَتْهَا بِأَن مهاب- الذي هُوَ أَنَا أُرَاقِب الْمَشْهَد ببلاهة- أَخْبَرَهَا بِأَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي خِطْبَتِهَا مُنْذُ عَامَيْنِ وَأَشْهَر . .

لفتت انتباهي جُمْلَتِهَا . . عَامَيْن وأشهر ، أَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِى أَخْبَرَتْنِي بِأَنَّهَا انْتَظَرَت لِأَجْلِي فِيهَا ؟ وَكَيْف لَهَا أَنْ تَعْلَمَ مَا أُفَكِّر فِيه وتنتظره ؟ كِدْت آجِن مِن توقعي فَيَبْدُو غَيْر منطقياً . . رُبَّمَا الْمَقْصِد هُوَ أَنَّهَا أيضاً كَانَت تَرْغَب فِي ذَلِكَ فَانْتَظَرَت قُدُومِي . .

وَقَفْت خَلْفَهَا وَتَحَدَّثَت إلَيْهَا بِنَفَاذ صَبَر حَقِيقِيٌّ :

-أصالة أنتي لَيَّه استنتيني سَنَتَيْن وَشُهُور ؟

صَمَتَت فَوَصَلَنِي صَوْت مَيَّادَة عَبَّر سِمَاعَة الْهَاتِف الَّذِي بَيْنَ أَصَابِعِهَا تَطْلُبُ مِنْهَا أَنَّ تُخْبِرَنِي فَهَذَا الْوَقْتُ الْمُنَاسِب . . لِمَا الْجَمِيع يُعْلَمُ مَا هُوَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِب وَأَنَا لَا ؟

أُغْلِقَت الْهَاتِف وتنهدت قَائِلُه :

-أنا عَارِفَة إِنَّك مَش هتصدقني . الْمَرَّة دِي هحكيلك . . . بِس قَبْلَ مَا أَحْكِي هسألك سُؤَالَيْن .

11

جَلَسْنَا لأسأل :

-أيه هُمَا السؤالين ؟

--أول سُؤَال . . لَيَّه لِمَا أَنْتَ بِتَفَكُّر مِنْ وَقْتِ طَوِيلٌ إِنَّك تَخْطُبنِي مَا أخدتش أَيْ خَطَوُهُ ؟ حَتَّى وَلَوْ خَطَوُه إِنَّك تَتَعَرَّف عَلِيَّا تلمحلي ؟

سُؤَالٍ لَمْ أَتَعْجَب لَه أخيرًا ، هَذَا حَقِّهَا لَتَعْلَمُ مَا اسبابي فِي انْتِظَارِ كُلُّ هَذَا الْوَقْتِ . . أَرَحْت ظَهْرِي لِلْخُلْف وتنهدت بِعُمْق ثُمَّ عُدْتُ بنظري إِلَيْهَا وَأَجَبْت وَهِي تَنَصَّت لِي باهْتِمام بَعْدَمَا هَدَأَت وأنهت بُكَاءَهَا ، لَكِن مَازَال توترها وارتجاف يَدَيْهَا يرافقاننا فِي لِقَاءَنَا :

-تقدري تَقُولِي كُنْت مُنْتَظِرٌ حاجتين يَحْصُلُوا ، ماكنتش عايز أخد أَيْ خَطَوُهُ إِلَّا لِمَا أَكُون جَاهِزٌ بيهم . .

وَحِكَايَة إِنِّي أجي المحلك أَو أَتَعْرِف عليكي دِي مَش أَنَا . . . أَنَا مَش كَدِّه ، أَنَا شَخْصٌ كَبِيرٌ ، عَاقِل . . عَارِف الصِّح مِنْ الْغَلَطِ ، وَعَارِف أزاي أَدْخَل الْبَيْتِ مِنْ بَابِهِ ، وَعِنْدِي أَلْف طَرِيقَة أَقْدِر أَعْرِفُك بيهم مِنْ غَيْرِ مَا أَقْرَبَ مِنْك أَوْ المحلك يَا أَصَالَة زِيّ مَا قَدَرْت اعْمَل دَه الْفَتْرَة اللَّيّ فَاتَت . . .

اِبتسَمَت بِخَجَل وتساءلت :

-والحاجتين اللَّيّ استنتهم حَصَّلُوا ؟

--ده السُّؤَال التَّأَنِّي ؟ لَو جاوبتك عَلَيْه هتحكي عَلى فِكْرِهِ .

صَاحَت بِنَفْي :

-لا لَا . . دَه تَكْمِلَة السُّؤَالُ الْأَوَّلُ ، فهمني بِس كُلّ تَفَاصِيلِ إِجَابَتِك علشان اطمن وَاقْدُر أَحْكِي .

اِبتسَمَت وَقُلْت :

-مش عَارِف لَيَّه حاسس أَنَّ الْحَاجَةَ اللَّيّ مخبياها مَش سَهْلَة يَا أَصَالَة . . يُمْكِن مُخَمَّن جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْهَا بِس شُعُورِي بيأكدلي إِنِّي مَهْمَا خمنت مَش هتكون زِيّ اللَّيّ هيتحكيلي .

خَفَضَت بَصَرِهَا بعيداً عَنِّي وَرَأَيْت عَلَى وَجْهِهَا اِبْتِسَامَةٌ جَانِبَيْه وَهَدْء صَوْتَهَا لِتَقُول :

-مهما حَسَيْت . . . وَمَهْمَا شوفت ، وَمَهْمَا خمنت عُمُرِك مَا هتوصل لِصُعُوبَة الْمَوْضُوع وَعَظَمَتِه . . بِس خَلَّيْنَا فِي النُّقْطَةِ اللَّيّ إِحَنَّا عِنْدَهَا مَا تستعجلش . . جاوبني .

--لا مَا حصلوش . . بِس خَلَاص مَش قَادِرٌ اصْبِر تَأَنِّي ، وحاسس إِنِّي فُقِدَت الْأَمَل فِيهِم . . ومش عايز أضيعك الْمَرَّة دِي .

أغمضت جفونها بِقُوَّة بَعْد جُمْلَتَي وتنهدت وَاضِعِه كَفَّهَا الْأَيْمَنَ فَوْقَ قَلْبُهَا ، ثُمّ فَتْحُهُمَا مِنْ جَدِيدٍ وَتَنْظُر لِي ثُمَّ تَنْظُرَ لِلسَّمَاء وتبتسم ، اتابعها فِي صُمْت وَلَا اتساءل، أَنَا أَحْبَبْت أَنْ أَرَى ردود أَفْعَالِهَا الصَّادِقَة والمريحة هَذِه . . عَادَت لِتَنْظُر لِي وتتنحنح قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَ :

-أيه هُمَا الْحَاجَتَيْن اللَّيّ كُنْت منتظرهم ؟

--والدي يَكُون معايا ، وَوَظِيفَة مُهِمَّةٌ لِيَا بسعالها بقالي وَقْت طَوِيلٌ وبجتهد لَيْهَا . . كَان نَفْسِي أَوْصَل لدول قَبْلَ مَا أَخْطَب علشان أَكُون مُرْتاح وَقْتِهَا .

******

"أصالة"

كُلّ شَيْءٍ أَشْعَرَ بِهِ الْآنَ كَأَنَّه حَلَم طَال انْتِظَارُه . . . عِنْدَمَا أَخْبَرَتْه أَنَّنِي انْتَظَر الوَقْتِ الْمُنَاسِب لأشرح لَهُ مَا يَرْغَبُ فِي مَعْرِفَتِهِ ، لَمْ أَكُنْ حِينِهَا أَعْلَمُ عَنْ أَيّ وَقْتَ أَتَحَدّث . . لَكِنَّنِي كُنْت وَاثِقَةٌ أَنَّهُ كَمَا خُطَط اللَّهُ لِكُلّ شَيْءٍ وَأَدَارَه بِحِكْمَتِه ، فَسَيَأْتِي هَذَا الْوَقْتِ بِإِدَارَة مِنْ اللَّهِ وَقَدْ كَانَ . .

اجْلِس أمَامِهِ لَا أَتَحَمَّل مُرُور الْوَقْت . . أَرْغَبُ فِي أَنَّ تَتَوَقَّفَ السَّاعَات عَن المضي قدماً ، اسْتَمَع لإجاباته فتروي ظَمَأ مشاعري بَعْضَ الْجُمَلِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَدَى تَأْثِيرِهَا عَلَى تِلْكَ الَّتِي تُظَنُّ أَنَّهَا فِي حِلْمٍ آخَرَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَسْتَيْقِظَ مِنْه . .

لَم انْتَبَه وَأَنَا أَتَحَدّث إلَى أَنَّنِي أخبيء الْكَثِير عَنْهُ فَيَجِبُ أَنْ أَخَذَ حَذَرِي فِي الْحَدِيثِ لِحِين البَوْح بِكُلّ شَيْءٍ ، فَقُلْت بتلقائية :

-فهمت . . . كُنْت مستني يُعْرَف ياخد أجَازَة وَيَنْزِل مِصْر علشان تَقْدِر تَخْطُب يَعْنِي .

أَدْرَكْت مَا تَفَوَّهَت به للتو مِن مَلامِح الدَّهْشَة والجدية الَّتِي اِرْتَسَمَت فَوْق وَجْهَه ، فَانْدَفَعَت مُسْرِعَة لأصحح الْوَضْع :

-أه عَارِفَة . . وعارفة حَاجَات كتير أَنْت مَش عَارِف إنّي عارفاها وهفهمك كُلّ حَاجَةٍ وَاَللَّه بِس استحملني لِلْآخَر . .

--أنا مابقتش عَارِف أفهمك . . وَلَا أَفْهَم فِي آيَه ومش بِحُبّ أَفْضَل كَدِّه كتير ، فبسرعة فهميني . . وقوليلي السُّؤَال التَّأَنِّي .

تجاهلت جُمْلَتِه وَسَأَلْتُه :

-مهاب ، هِي وَالِدَتُك الله يَرْحَمُهَا مواصفاتها كَانَت

فِي طُولِي ، يَعْنِي أَقْصَر مِنْك بشوية وبتوصل لِحَدّ كَتِفِك ، عَيْنَيْهَا أَوْسَعُ مِنْ عَيْنَيْكَ شُوَيَّة صَغِيرَة ورموشها طَوِيلَة ، وشها مُدَوَّر أَو بَيْضاوِي شُوَيَّة ، وكمان بَشَرَتُهَا افْتَح مِنْك وابتسامتها هَادِيَة ووقورة ، ، زَائِد أَنَّهَا كَانَتْ بتلبس نُضَارُه طِبِّيَّةٌ وَبِتَلَف الْحِجَاب بِشَكْل رُوتِينِي بِدَبُّوس مِنْ الْجُنُبِ ، وَتَحْت الْحِجَاب بندانه مُثَلَّثَةٌ ؟

ظِلّ محملقا بِي ، يُحَدِّق بِأَعْيُن مُتَّسِعَة وجبين مُنْكَمِش وَاعْلَمْ أَنَّ رَأْسَهُ تَشَوَّش أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ ، كُنْتُ أَجْلِسُ أمامِهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ يَجْتَمِعُ فِي تُوتِر الْعَالِم أَجْمَع ، أنفاسي ثَقُلَت ونبضي ضَعُفَت عداته ، أَتَمَنَّى أَنْ لَا أَكُونُ خَاطِئَة . .

-أنتي شوفتيها فِين ؟

--جاوبني الْأَوَّل . . هِي دِي مواصفاتها ؟

أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ بِبُطْء ، وَبِصَوْت هَادِئًا أَجَاب :

-آه . . شوفتيها فِين ؟ معتقدش أَهْلِي يَوْمٍ مَا جَم عِنْدَكُم وروكي صُورَة لَيْهَا لِأَنَّ أَنَّا بِس اللَّيّ مُصَوَّرٌ صُورَتُهَا عَلَى تليفوني وَعُمْرِي مَا نَزَلَتْ صُورَتُهَا عَلَى نِت ! !

--لأ أَنَّا مَا حدش وَرَآنِي صُورَة لَيْهَا ، هِي اللَّيّ جاتلي . . فِي رُؤْيَةِ وَالرَّوِيَّة دِي اللَّيّ اتبنى عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ مستني تَعْرِفُه . . .

- ! ! ! ! !

--أنا كُنْت مستنياك تيجي علشان هِي قالتلي إِنَّك جاي وَإِنَّك مُتَأَخِّرٌ غَصَب عَنْك ، وَوَعَدَتْنِي إِنَّك هاتيجي . . . أَنَا استنيتك لِأَنَّكُم جيتولي كتير تقولولي أستناك وَإِنَّك جاي تَأَنِّي .

******

"مهاب"

الصَّدْمَة كَلِمَة كُنْت أَظُنُّهَا وَصْفٌ دَقِيق لِحَالَة تأتيك عِنْدَمَا يَحْدُثُ أَمْرًا غَيْرَ مُتَوَقَّع ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةٌ لِوَصْف حَالَتَي عِنْدَمَا بَدَأَت الْحَدِيثِ عَنْ وَالِدَتِي ، وَعَن رُؤْيَاهَا الَّتِي لَا أَفْهَمُ مَا تَقْصِدَه مِنْ كَلَامِهَا عَنْهُم ، كُنْتُ أَجْلِسُ أَمَامَهَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَلَا أَتَحَرَّك ، لَم أَعْقَب ، فَقَطْ أُنْظُرْ وأَحْدَق بِهَا

-أنا مُدْرَكَهُ أَنَّ مافيش وَلاَ كَلِمَةٌ هحكيها هتصدقني فِيهَا لِذَلِكَ أَنَا هحاول أَحْكِي كُلِّ حَاجَة وأوريك اثباتات عَلَى قَد مَا أَقْدِرُ . . بِس حَاوَل مَا تعقبش أَو تَسْأَلَ غَيْرَ لِمَا أَخْلَص . .

لَمْ أَسْتَطِعْ قَوْلِ أَيْ شَيْءٍ فَقَط أَمَات بِالْمُوَافَقَة ، كُنْت أَنْصَت إِلَيْهَا وَأَشْعَر فِي رَغْبَةٌ فِي الْبُكَاءِ ، وَصَلَنِي صَدَّقَهَا مِنْ عَيْنَاهَا الَّتِي تَتَحَدّث بلباقة عَنْهَا ،

فأصالة كَان توترها يَتَحَدَّث قَبْلَهَا ، كَانَت تتنهد كَثِيرًا . . تبتسم مِنْ حِينِ لآخَرَ وتلمع عَيْنَاهَا كَأَنَّهَا هُنَاك !

تَبْكِي وتهتز نبرتها فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَجْزَاءِ . . تصمت قَلِيلًا وَتَنْظُر إلَيّ كَأَنَّهَا لَا تُصَدَّقُ أَنَّهَا تَحْكِي لِي الْآنَ . . فَأَخْبِرْهَا أَنَّ تُكْمِلَ ، تتنهد بِقُوَّة وَتَكْمُل حَدِيثِهَا . .

سَمِعْت مَا يَعْجِزُ عَقْلِيٌّ عَنْ تَصَوُّرِهِ ، رَأَيْت مَا يَثْبُتُ صِدْقُهُ . . . أَشْعَر بصداع مُمِيت . .

انهت حَدِيثِهَا بِجُمْلَة جَعَلْتنِي أَعُود بذاكرتي لأعوام مَضَتْ لَمْ أَكُنْ أَفْهَم خلالهم بَعْضِ مَا يَحْدُثُ مَعِي . .

-في حَاجَات تانّيه كتير حَصَلَت مَش هقدر احكيهم دلوقتي ، لَكِنِّي بِكُلّ اللَّيّ حكيته وَاللَّيّ ورتهولك مِن رَسَائِل وَتَفَاصِيل وَتَوَارِيخ لمواقف أَكُون قَدَرْت اوصلك اللَّيّ كُنْت عائيز تُفْهِمُه بِنِسْبَة 80% . . . وعارفة إنَّك مَش هتصدق جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْه . . وحقك لِأَنَّ أنَا اللَّيّ عِشْت كُلّ دَه بيجي عَلِيَّا وَقْت ومش بِصِدْق زِيّ عَدَم تَصْدِيقِيّ لِوُجُودِك قُدَّامِي دلوقتي .

كُنْت أَحْدَثَهَا دَاخِلِيّ ، أَخْبَرَهَا أنِي أَصدَقَ وَلا أَصَّدَّقَ . . . أَصْدَق لِأَنّ لَدَيّ مَا يَثْبُتُ لِي أَنَّهَا لَا تَكَذَّب ، فَمُجَرَّد وُجُودِيٌّ أَمَامَهَا الْآن . . ومشاعري وتفكيري فِيهَا طِوَال تِلْكَ الْمُدَّةِ يجبرني عَلَى تَصْدِيقِهَا ، لَكِنْ مَا لَا يَجْعَلَنِي أَصْدَق هُوَ عَقْلِيٌّ الَّذِي لَا يستوعب هذا الكم الهائل من الغرابة..

شَيْءٌ مَعْقِد ، لَحْظَة مربكة ، تَنْتَظِر مِنّي تَعْقِيب عَلَى مَا قِصَّتَه عَلِيّ ، وَأَنَا كُلُّ مَا اسْتَطَعْت فَعَلَهُ هُوَ الِابْتِسَام . . اِهْتَزَّت نبرتها وَأُخِذَت تضغط عَلَى أَصَابِعِهَا مُحَاوَلَة إخْفَاء خَوَّفَهَا . . . مِسْكِينَة تَرْغَب فِي أَنَّ تَطْمَئِنّ . . لَا تُعْلَمُ أَنِي خَائِفٌ الْآن ، وداخلي خَليطٌ مِنَ الْمَشَاعِرِ وَزِحَام الْأَفْكَار يَجْعَلَنِي أَرْغَبُ فِي الرَّكْض وَالْبُكَاء . .

-أنت مَش مصدقني صَحّ ؟

نَظَرْت لَهَا طويلاً ، حَالَة الصَّدْمَة وَالتَّشَتُّت دَاخِلِيّ يمنعاني مِنْ أَنَّ أَبَدِي أَيْ رَدَّهُ فَعَل . . . لَا تَنْظُرِين بِعَيْنَيْك المستغيثة هَكَذَا لَا أَقْدِرُ ، أَقْسَم أَرْغَبُ فِي طمأنتك لَكِنَّنِي عَاجِزٌ عَنْ الِاسْتِيعَابِ . . . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةَ أَدْرَكْت كَم أَنَّهَا أَقْوَى مِنْ عَقْلِيّ ، لَا أَقْصِدُ أَنَّهَا ذَكِيَّةٌ وَأَنَا اتَّصَف بالغباء . . . بَل أَقْصِدُ أَنَّهَا قَوِيَّةٌ لتتحمل كُلَّ هَذَا وَحْدَهَا ، وَعَقْلِيٌّ لَا يَتَحَمَّلُ فَقَط مَعْرِفَتِه !

نَظَرْت لهاتفي فَقَدْ أَتَتْنِي رِسَالَة آلمتني . . حقاً أَنَّ الْقَدْرَ يَلْعَب بأعصابي . . وَقَفْت أَمَامَهَا بِقِلَّة حِيلَة وَحَزِن ، أَوَّلُ مَا نَطَقْتُ بِهِ :

-أنتي لَازِمٌ تَرُوحِي دلوقتي يَا أَصَالَة ، عريسك مستنيكي فِي الْبَيْتِ . . لَازِمٌ تَرُوحِي ماتحرجيش أَهْلِك لِأَنّ مالهمش ذَنْب قِي كُلِّ اللَّيّ حَاصِل .

وَقَفْت أَمَامِي ونظرتها قَبَضَ لَهَا قَلْبِي ، تساءلت بِصَوْت مُنْكَسِرٌ :

-هو أَنْت مَش مصدقني يَا مَهَابّ ؟

أُنْظُر لعيناها وأحادثهم ويرهقني الْحَدِيثِ الَّذِي لَا يَرْغَبُ فِي الْخُرُوجِ أَمَامَهَا الْآنَ مِنْ كَثْرَةِ الِاضْطِرَابِ الَّذِي أَشْعَرَ بِهِ . . أُحَاوِل أَن اتفوه بِأَيّ كَلِمَة ، لَكِن دُمُوعُهَا تَحَدّثَت بِكُلِّ شَيْءٍ . .

حَاوَلْت أَنْ تَتَحَرَّك مِنْ أَمَامِي فَتَحَدَّثَت بِسُرْعَة

-أصالة استني . . أَنَا مَش مكذبك ، أَنَا بِس مَش مُتَحَمِّلٌ الفِكْرَة . . كَبِيرَةٌ عَلَى عَقْلِيٌّ ، مُحْتَاجٌ وَقْت أَعْرِف أُفَكِّر عشان أَتَكَلَّم . . أَنَا كِمَّان جوايا كَلَام ليكي . . أَنَا . . .

لَمْ أَسْتَطِعْ أَخْبَارِهَا أَنَّنِي أَصْدَق . . أَنَا بِالْفِعْل أَصْدَق لِمَا كَم هَذَا التَّشَتُّت ؟

تَذَكَّرْت شيئاً فَقُلْت :

-أصالة أَنَا هجاوبك بِس بَعْدَ مَا تدخليني الشات الوهمي وتعيدي إرْسَال كُلّ الرَّسَائِيل اللَّيّ فِيه بِالتَّرْتِيب وَالتَّوَارِيخ . . . تقدري تعملي كَدِّه قَبْلَ مَا توصلي الْبَيْت ؟

--لا . .

-ليه لَا . . مَش هيوصلولك صَحّ . . ومش هلحق ارتبهم يَا مَهَابّ .

فَكَّرْت لِدَقِيقَة ثُمَّ قُلْتُ :

-خلاص أَنَا جاتلي فَكَرِه بِس بتمنى تَوافُقِي عَلَيْهَا لِأَنَّهَا هتيجي عَلَى خصوصيتك شُوَيَّة . .

*****

"أصالة"

مِنْ حِينِ لآخَرَ الْتَفَت لَهُ وَهُوَ يَقُودُ وابتسم بسخرية ، فَمَن انْتَظَرْته لأعوام كَي أَزَفّ لَه ، ذاهباً لإيصالي إلَى "عريسي" كَمَا لَقَبُه مِنْ دَقَائِقٍ قَبْل خُرُوجُنَا مِن المنتزه وَيُصَمِّمُ عَلَى إيصالي لِلْمُنْزَل . . كُنْت أَظُنُّ أنني سأبكي فِي لَحْظَةِ كَهَذِه ، لَكِنَّنِي شَعَرْت وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ تَجَمَّد دَاخِلِيّ . . قَد اقتلع مشاعري مِن جُذُورَها عَدَم تَصْدِيقِه لِي ، كُنْت أَظُنُّه سيسعد لِمَا سَمِعَه

. . أَوْ أَنَّهُ سيتأثر . . كُنْت انْتَظَر أَيِّ شَيْءٍ يُعَوِّض مَا ابْتَلَعَه الِانْتِظَار مني. . لَكِن بِبَساطَة لَمْ يَفْعَلْ أَيَّ شَيْءٍ ، فَقَط سيأخذني لأجالس رَجُلٌ يَرْغَبُ فِي الزَّوَاجِ مِنْهُ بَعْدَمَا عَلِمَ كُلُّ مَا حكيته لَه . .

-شوفي كَدِّه الواتساب الْجَدِيد أَتَحَمَّل عَلَى تليفوني ؟

أَمْسَكَت هاتفه بِنَفَاذ طَاقَتَي ، دُونَ أَنْ أتفوه كُتِبَت رُقِم الْهَاتِف وكود التَّأْكِيد ، وَسُجِّلَت دُخُولِه للواتساب الْخَاصّ بِي ، مِمَّا جَعَلَهُ ينغلق مِن هاتِفِي وَيَنْفَتِح لَدَيْه . . وُضِعَت الْهَاتِف أمَامِه بَعْدَمَا انْتَهَيْت وأدرت رَأْسِي للنافذة اتطلع خَارِجَهَا بِصَمْت . . لَا أَشْعُرُ بِغَضَب ، وَلَا حَزَنٍ يَفْتِك بِي ، لَا أَهْتَمُّ لِأَخْذِه خصوصيتي . . أَنَا أَصْبَحْت تِمْثَالًا صلْبًا . . كُنْت فَقَط اِنْتَظَرَ أَنْ استيقظ مِنْ النَّوْمِ ، فَمَن الْمُؤَكَّد هَذَا مُجَرَّدُ كابوس .

-أصالة . .

لَمْ أَرْغَبْ فِي النَّظَرِ إلَيْهِ ، كَمَا أَنَا جَالِسَةٌ أَجَبْت :

-نعم . .

--أنا كِمَّان حَلَمْت بيكي قَبْل كَدِّه وَكُلّ مَرَّة كنتي بتقوليلي نَفْس الْجُمْلَة وَلَحَد الْآن مَش فاهِم مَعْنَاهَا .

صعقت لِمَا سَمِعْته . . . نَظَرْت إلَيْهِ بلهفة ، اِنْتَظَرَ أَنْ أَشْعَر بِكَذِبِه ، لكن نظرته صَادِقَةٌ ، سألت :

-أنت بتتكلم جَدّ ؟

--هو أنتي وَلَا مُصَدِّقَةٌ وُجُودِيٌّ وَلَا كَلَامِي ! آه وَاَللَّه حَلَمْت بيكي اِكْتَر مِنْ مَرَّةٍ . . مَش الْفَتْرَة دِي ، دَه مِنْ وَقْتِ مَا شوفتك لِحَدّ شُهُور فَاتَت . . .

-و . . و كُنْت بِقَوْلِك آيَه؟

توقف أمَام الشَّارِعُ الَّذِي اقتنّ فِيه وَنَظَرَ إلَيَّ قَائِلًا :

-كنتي بتطلبي مِنِّي مَا استسلمش ، وَلَحَد الْآن مَش فاهِم ماستسلمش فِي آيَه بالظبط !

كتير كُنْت بستغرب ، وَكُنْت بِفِكْر فِي جُمْلَتُك لَكِن مَش بِفَهْم . . . بِس تقريباً فَهِمْتهَا دلوقتي . .

--فهمت آيَه؟

-خلي كُلِّ حَاجَةٍ لِوَقْتِهَا الْمُنَاسِب . . أنتي لَازِمٌ تطلعي دلوقتي لِأَنَّك اتأخرتي . .

نَظَرْت لَهُ وَلَا أَعْلَمُ مَا أَقُولُه . . فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ فقط شَعَرْت . . لَكِن شُعُورِي كَان يُؤْذِينِي . . فهدوءه ، وَجُمْلَتُه بَعْدَ كُلِّ ما علمه مِنِّي ، وَمَا حَكَاهُ عَنْ أحلامه جَعَلَنِي أَشْعَرَ بِأَنَّ كُلَّ هَذَا غَيْرُ هَام بِالنِّسْبَةِ لَهُ . . يَسْتَطِيع تسليمي لِشَخْصٍ آخَرَ بِسُهُولَة وَيَذْهَب هُو ليسمعني وَأَنَا أَبْكِي لَه وَأَشْكُو لَه انْتِظَارِي . .

شَعَرْت بِكُم أَنَّنِي صَغِيرَةً فِي عَيْنَيْهِ ، وَكَم نَدِمْت لحظتها عَنْ كُلِّ دَقِيقَةٍ مَرَّتْ فِي عُمْرِي لِأَجْلِه . . تَرَجَّلَت مِن السَّيَّارَة ، وصعدت إلَى شقتنا وَأَنَا كُلِّ شَيْءٍ بِي مُتَجَمِّدٌ . . أَصْوَاتَهُم تَصِل لأذني مشوشة . . لَا أَنْظُرُ لَهُمْ ، لَا أَعْلَمُ فِيمَا يَتَحَدّثُونَ . . انْتَبَه فَقَط عِنْدَمَا يناديني أَحَدُهُم لِأَعُود بَعِيدًا عَنْ شرودي . .

اِبْتَسَم مُجَامَلَة لِأَهْل أَحْمَد ، وَلَا أُنْظُر لَه . . أَنَّا لَا أَرَانِي مَعَ أَحَدٍ . . بَلْ لَا أَرَى أَحَدٌ غَيْرُ مَهَابّ . . لَمْ أَسْتَطِعْ النَّظَر لِأَحْمَد وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً طِوَال الزِّيَارَة . .

رَحَلُوا مُسْرِعِين ، فَكَان يَتَّضِح مِن أسلوبي الوقح كَم أَنَّهُمْ غَيْرُ مَرْحَبٌ بِهِم . . وَهَذِه غلطتي ، كَان تُسْرِع مِنِّي ، كَانَ يَجِبُ أَنْ اخْتَارَ اعْتِزَال فَكَرِه الزَّوَاج بَدَلًا مِنْ اهَانَهُ شَخْصٌ بَرِيءٌ وَأَهْلِه ، دَخَلَت إِلَى غُرْفَتِي لِأَقُوَم بِتَغْيِير ملابسي فَوَجَدْت مَيَّادَة تُهِم وَاقِفَة وسهيلة تَتْبَعُهَا وَيَأْتُون إِلَيّ .

أَوَّلُ مَا فَعَلَتْهُ هُو إِنَّنِي تبادلت النَّظَر لأعينهما القلقة بِصَمْت ، ثُمّ أُغْلِقَت بَابِ الغُرْفَةِ وَوَقَفْت أَمَامِهِمَا دُونَ أيّ كَلِمَةً أَوْ شُعُور . . .

تساءلت سهيلة بلهفة :

-عملتي آيَه مَعَ مَهَابّ ؟

ينتظرن أَجَابَه . . لَكِنْ لَيْسَ لَدَيّ طَاقَة لِلْحَدِيث ، طَرْقِ بَابِ الغُرْفَةِ لِتَدْخُل وَالِدَتِي بِأَعْيُن قَلِقَةٌ وتخبرني بِأَن والدي ينتظرني فِي غُرْفَةٍ الضُّيوف . . تَأَمَّلْت الْجَمِيع لبرهة وَذَهَبَت بَعْدَهَا لأجلس أَمَامِه بصمتي وخذلاني ، نَظَرَ إِلَيّ طَوِيلًا مِمَّا أَقْلَقَنِي وَاعْلَمْ أَنَّهُ سيوبخني عَلَى مقابلتي لِأَحْمَد وَأَهْلِه وَأَنَا الَّتِي طُلِبَتْ لقاءهما . .

-أنتي مَش عايزة أَحْمَد ، لَيَّه طَلِبَتِي يَجِئ ؟

كِدْت أَتَحَدّث فَلَم يُعْطِينِي فِرْصَة وَأَضَاف :

-الناس مَش لَعِبُه فِي أَيْدِينَا نهرب فِيهِمْ مَنْ ضَعُفْنَا وَعَدَم قدرتنا عَلَى الصَّبْر يَا أَصَالَة ، الِاخْتِبَار اللَّيّ اتحطيتي فِيه ومازلتي فِيه، علشان تتعلمي تَصْبِرِي وماتستعجليش بِس أنتي رَغِم إِنَّك صُبْرَتَي فِعْلًا جيتي وَقْت الْجَدّ ، وَقْتُ الِامْتِحَان اللَّيّ يَثْبُت أَنَّك قَدْ الِاخْتِبَار واتعلمتي الدَّرْس كنتي بتستسلمي وهتغلطي وتضعفي . . . كنتي مُحْتَاجَةٌ شُوَيَّة صَبَر كِمَّان علشان تنولي اللَّيّ أنتي عايزاه .

كُنْت أَرْمُقُه برعب ودهشة ، فَحَدِيثُه مُحِقٌّ وَلَكِن الْمُهِمّ فِي هَذَا هُوَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى عِلْمِهِ بَأمر مَهَابّ . . بَل وَالْأَهَمّ أَنَّه يُصَدِّقْه وَيُخْبِرُنِي الْحِكْمَة مِنْه ! !

-بابا حَضرَتْك عَارِف . .

--آه عَرَفْت ، بِس ماكنش يَنْفَع أَعْرِف بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ ، كَان لَازِمٌ تصارحيني عَلَى الْأَقَلّ علشان مَا اتحطش فِي الْمَوْقِفِ دَه معاه لِمَا يَجِئ يتقدملك .

لَمْ أَسْتَطِعْ جَعَلَه يُكْمِل الْحَدِيث وهممت وَاقِفَة مِن صدمتي

-يتقدملي ؟ هُو مَيْن ؟

دَخَلَت وَالِدَتِي وتبعاها سهيلة وميادة بَعْدَمَا اسْتَأْذَنُوا لِلدُّخُول وَسَمَح لَهُم وَالِدِي ، جَلَسُوا جَمِيعًا وَمَازِلْت وَاقِفَةً لَا أَفْهَمُ شَيْءٌ ، أَمَرَنِي وَالِدِي بِالْجُلُوس وَبَعْدَمَا جَلَسَت قَصّ عَلِيًّا مَا حَدَثَ ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ لَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ . . بَلْ بِكُلّ شَيْءٍ ، كُلّ غَضَب احتجزته دَاخِلِيّ ، كُلّ خَوْفٍ تجاهلته ، كُلّ تُوتِر عَانَدَتْه . . مشاعري وأسفي ، وسعادتي وَحُزْنِي . . كُلّ شَيْءٍ حَقًّا تَجْمَع لأركض لأختبئ بَيْن ذِرَاعِي مَيَّادَة وَابْكِي . . أَبْكِي بِقُوَّة ، فَلَا أَعْلَمُ أَبْكِي لِأَنَّنِي تَمَسَّكَت بثقتي فِي اللَّهِ لِلنِّهَايَة فكافئني ، أَم أَبْكِي لِأَنَّنِي أَفْسَدَت كُلّ شَيْءٍ باستسلامي فِي آخِرِ لَحْظَة وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ مُرَتَّبٌ مِنْ اللَّهِ بِالْفِعْل وَأَنَا الَّتِي لَمْ أُطِيق صبراً . . !

تساءلت وَالِدَتِي :

-العمل آيَه دلوقتي يَا حَاجّ ؟ هتعمل آيَه مَعَ أَحْمَدَ ؟

وَقَفْت سهيلة مُدَافِعَة وَهَذَا مَا تَعَجَّبْت لَه :

-هيعمل آيَه فِي آيَه ؟ أنتوا بتسألوا ؟ ؟ أَصَالَة مَش هتتجوز غَيْر مَهَابّ ، دا أَنَا دَخَلَت أتوضيت وَصَلَّيْت رَكْعَتَيْنِ تَوْبَة لتقصيري مَع رَبَّنَا بِسَبَب حِكَايَتِهِم وخايفة اتسخط قِرَدَة بِسَبَب مهاجمتي لَيْهَا وَعَدَم تَصْدِيقِيّ . . قِسْمًا بِاَللَّه ماهتتجوز غَيْرِهِ وَلَوْ هتصمموا مَا حَدَّ هيقف لرغبتكم دِي غَيْرِي . . . أَصَالَة تَعِبَت ، وَكُلُّنَا عَارِفِين عانت قَد آيَه علشان رَبَّنَا يحققلها اللَّيّ بتتمناه . . هتكسروا فَرْحَتِهَا فِي الْآخَرِ ؟ ماعتقدش أَنَّكُم تَعْمَلُوا كَدِّه .

اعْتَدَلَت وَجَلَسَت اتأمل الْوَضْع ، لَأَجِد وَالِدِي يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِلَوْم :

-أنا مَش زَعْلان مِن موقفكم ، أَنَا زَعْلان مِن مَوْقِفِي اللَّيّ خلتوه سَيِّء مَعَ النَّاسِ . .

هخرج وَتَرْكُنَا فِي الغُرْفَةِ نَنْظُر لِبَعْضِنَا الْبَعْض بِخَوْف ، ركضت سهيلة خَلْفَه وَنَسْمَع جِدَالُهُم فِي الْخَارِجِ ، عَادَتْ بَعْدَ دَقَائِق إِلَيْنَا مطأطأة الرَّأْس

-قفل بَاب الأوضة بِالْمِفْتَاح وَقَالِي مَش عائِز أَسْمَع صوتكم النهارده .

12

كَانَتْ لَيْلَةُ صَعْبَة أهملني فِيهَا النَّوْم ، لَمْ تَسْتَطِعْ مَيَّادَة الْمَبِيت مَعِي وَهَذَا أَيْضًا زَاد سُوء حَالَتَي النَّفْسِيَّة فَهِي وَحْدَهَا تَسْتَطِيع تهدئتي ، لَكِنَّهَا بَقِيَت مَعِي عَلَى الْهَاتِف حَتّى الصّبَاحِ ، تَتَحَدّث إلَيّ وسهيلة تَضَع رَأْسِي عَلَى فَخِذِهَا تمرر أَصَابِعَهَا عَلَى شِعْرِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ وَلَا أَسْمَعُ . . فَقَط أُفَكِّر وَأَتَذَكّر كُلّ شَيْءٍ حَدَّثَ إلَيَّ فِي تِلْكَ الْمُغامَرَة وفورا تَذَكَّرْت شَيْءٌ اِقْشَعَرّ لَه بَدَنِي فَجَلَسْت وصرخت فِيهِمَا لينصتا إلَيّ . .

-ميادة . . فَأَكْرَه مِن تَلَت سِنِينَ فِي لَيْلَةٍ عَرَفَةَ لِمَا دُعِيت وأنتي معايا عَلَى التليفون وَأَنَا بعيط . . فَأَكْرَه دُعِيت بِآيَه؟

حَاوَلَت التَّذَكُّر وتتأمل الْمَوْقِف سهيلة ، فَجْأَة تَذَكَّرْت مَيَّادَة وَصَاحَت :

-ياماااا . . . أَنَا خُوّفْت ، بِتّ انتي أبيبه ! .

سهيلة تساءلت بِنَفَاذ صَبَر :

-يا جماعة فهموني فِي آيَه ؟

تَحَدّثَت مَيَّادَة :

-أختك مَلْبُوسِه يَا سِتّ أنتي استني . .

ضَحِكْت وجسدي يَرْتَجِف ، كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَكْبَرُ مِنْ تَعَلَّم الصَّبْر ، فَاَللَّه أَرَادَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ الصَّبْر لِسَبَب قَوِيٌّ مِنْ الْمُؤَكَّدِ . . فَلَن يَكُون اخْتِبَارِه بِهَذِهِ الْقُوَّةِ لِشَيْء هَيِّنٌ ، وَهَا هِيَ الصُّورَةُ تَتَّضِح الْآن . . قُلْت :

-أنا مِنْ كَثْرَةِ الْأَشْخَاص اللَّيّ حَاوَلُوا التَّقَرُّب مِنِّي مِنْ أَجْلِ الْمَشَاعِر وَالِارْتِبَاط وَمَن حَيْرَتِي وَقْتِهَا بَكَيْت ودعيت . .

لَم أَكْمَل فَقَد قاطعتني مَيَّادَة بِتَرْدِيد الدَّعْوَة نِيَابَةً عَنِّي

-"يارب أشوف زَوْجِي المستقبلي وأعرفه . . حَتَّى لَوْ مَش وَقْتِه الصِّح أشوفه وَأَحَسّ إنْ هُوَ . . . أَو تديني إشَارَةٌ تأكدلي أَنَّهُ هُوَ علشان أَبْطَل حَيَّرَه وبعدين يَجِئْ فِي الْوَقْتِ اللَّيّ أَنْت محدده يَارَبّ ، بِس أَعْرِفُه . . "

شهقت سهيلة :

-يخربيت جِنَانِك . . . آيَه دَه ! أَنَا خُوِّفْت فِعْلًا . .

تَحَدّثَت وَأَنَا أَقِف واجول فِي الغُرْفَةِ وأفكر وَاسْتَنْتَج :

-الفكرة مَش مُحْتَاجَةٌ خَوْف لِأَنِّي شَخْصٌ عَادِيٌّ دعى فِي وَقْتِ اِسْتِجَابَةٌ بالصدفة ، الْفِكْرَةُ فِي أَنَّ الدَّعْوَةَ فِعْلًا غَلَطٌ . . أَنَا اِسْتَعْجَلْت رِزْقِي ، ماصبرتش عَلَى اللَّيّ رَبَّنَا كَاتَبَه لِيَا وَاسْتَعْجَلَت ، مَا فهمتش خَطَأُ الدَّعْوَة وسلبيتها غَيْر دلوقتي ، أَنَا كُنْت مُفَكِّرَة وَقْتِهَا إنِّي بِكَدِّه هرتاح مَا كنتش أَعْرِف إنْ فَعَلَا جُمْلَة "لو عَلِمْتُم الْغَيْب لاخترتم الواقع" أَنَا فِعْلًا كَانَ لَازِمٌ أَعِيش الصَّبْر علشان أَتَعَلَّمُه بِقُوَّة وَرَبَّنَا اخْتَار الْأَمْر اللَّيّ أَنَا حَدَّدْتُه بِالضَّبْط علشان يفهمني غلطي . .

ضَحِكْت بِقُوَّة لاستنتاجي ، قَدْ كَانَ كريماً مَعِي حَتَّى وَإِنْ كَانَ اخْتِبَارِه قَاسِيا.

عقبت ميادة:

-مض بس ده الدرس اللي لازم تتعلميه، أنتي كمان لازم تتعلمي مش اي حاجة تدعي بيها، لازم تركزي في الدعوة كويس قبل ما تدعيها..أنتي معظم المواقف الصعبة واللي بهدلتك كانت بسبب دعوة غلط..مش وحش أننا نتكلم مع ربنا في كل اي حاجة، بس مش اي حاجك تطرأ على عقلنا نتمناها..

اِبتسَمَت سهيلة وَقَالَت جُمْلَةٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَد مِنَّا التَّعْقِيب بَعْدَهَا ، فَقَد اخْتَصَرْت واوفت . . وعلمتنا الْكَثِير

-الدعاء مُوَجَّهٌ لِلَّه ، طَلَبَ مِنْك لَيَّه مافيش وَسِيط ينقله الْكَلَام بِصِيغَة تانِّيه ، لِمَا نَدَّعِي لَازِمٌ نُرَتِّب الدَّعْوَة صَحّ ونركز فِيهَا ، لِأَنَّ وَقْتَ الْإِجَابَة كُلّ اللَّيّ قولتيه هُو اللَّيّ هيتحقق . . . الدُّعَاءِ مَا ينفعش الِاسْتِهَانَة فِيه ، فالأقدار مُمْكِنٌ تَتَبَدَّل بِدَعْوَة .

******

"مهاب"

تَعَال مَعِي لأجعلك تشاركني مَا عشته مِنْ تَفَاصِيلِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، أَتَمَنَّى أَنْ أَسْتَطِيع إيصالك لكامل الصُّورَة ومشاعرها . .

اجْلِسْ عَلَى سَرِيرِي أَسْفَل هَوَاء الْمِرْوَحَة ، أَغْلَق كَامِل إِضَاءَة الغُرْفَة وُضُوء هاتِفِي فَقَط يُنِير مَا حَوْلِي . . افْتَح الواتساب الْخَاصّ بِهَا ، أَشْعَر بتوتر وحماس فِي أَنَّ وَاحِد . .

أَوَّلُ مَا قابلني خَانَه الرَّسَائِل الْمُثْبِتَة وَاَلَّتِي تَحْمِل صُورَتَي وَاسْمِي ، وَهِي هَدَفِي الْآن . . دَخَلَتْ إِلَيْهَا وَلَمْ أَتَحَرَّك أَو اضغط أَيّ شَيْءٍ ، فَقَد انتابتني قُشَعْرِيرَة ، قَد شَعَرْت بِكُم أَنِي مَحْظُوظٌ لِحُبّهَا لِي . . تَفَاصِيل آل "شات" كُلُّهَا أَنَا . . الْخَلْفِيَّة صُورَتَي ، الِاسْم اسْمِي . . الصُّورَة الشَّخْصِيَّة هِيَ نَفْسُ الَّتِى أَضَعُهَا فِي حِسَابِي الْحَقِيقِيّ عَلَى واتساب . .

آخَر رِسَالَة قَد أَرْسَلْتهَا مَا جُعِلَتْ بَدَنِي يَقْشَعِرّ . . فَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهَا فِي المنتزه

قَدْ كَتَبْتُ :

-أنت معاها دلوقتي . . . أَكِيدٌ أَنْتَ مَعَ اللَّيّ رُوّحَت تَخْطُبُهَا دلوقتي ومهتم لِوُجُودِهَا . . بِس أَنَا اللَّيّ مُحْتَاجَةٌ ليك ، أَنَا اللَّيّ عايزاك معايا هُنَا . . أَنَا مُحْتَاجَة أَسْمَع صَوْتَك دلوقتي .

أَنَا أَذْكُر أنني قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ المنتزه نَظَرْت إِلَى سَاعَةِ الْهَاتِف وَكَانَتْ قَبْلَ أَنْ تَكْتُبَ أَصَالَة هَذِهِ الرِّسَالَةِ بدقيقة . . لِهَذَا لَمْ تُصَدَّقْ صَوْتِي الَّذِي أَتَاهَا مَنْ خَلْفِهَا بَعْدَمَا أَرْسَلْت هَذِهِ الرِّسَالَةِ .

صَعِدَت لِأَوَّل رِسَالَة قَد أَرْسَلْتهَا وَبَدَأَت فِي الْقِرَاءَةِ . . التَّوَارِيخ وَالسَّاعَات مَعَ الْحَدِيثِ . . كُلِّ شَيْءٍ يُدْعَوْا لِوُجُود طبيب نَفْسِي يُخْبِرَنِي بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَنْطِقِي .

كُنْت اسْتَمَع لِصَوْتِهَا فِي الْمَقَاطِع الصَّوْتِيَّة وأندمج مَعَهَا ، أَتَعْجَب . . . كُلّ مَقْطَع بِحَالِه تَجْعَلْنِي اتأثر مِثْلِهَا ، لَنْ أَكْذِبَ فأبكتني عِدَّة مَرَّات . . كَيْف لَهَا أَنْ تَتَحَمَّلَ قَسْوَة الِانْتِظَار بِهَذا الشَّكْلِ وَتَكْمُل طَرِيقُهَا فِي الْحَيَاةِ بابتسامة هَادِيَة عَادِيَة ؟

أَتَرْغَب أَنْ تَعْلَمَ فِيمَا كَانَتْ تَتَحَدّث إِلَيّ ؟

فِي كُلِّ شَيْءٍ يا عزيزي . . فِي حَالَتِهَا ، فِي تَفَاصِيل يَوْمِهَا الْهَامَة . . كَانَت تَشْكُوَا لِي لَيْسَ لِغَيْرِي كَمَا كَانَتْ تَقُولُ فِي أَحَدِ التَّسْجِيلَات . . تُخْبِرُنِي عَن شَوْقِهَا لوجودي ، عَن أحلامها ، عَن مُهاجَمَة الْجَمِيع لَهَا وَعَنْ يأسها . . .

عَن قِلَادَتَهَا الذَّهَبِيَّة الْمُمَيّزَة . . وَالَّتِي كَانَت تُحِبّهَا كَثِيرًا وَلَمْ تَتَخَطَّى فُقَدَانُهَا بَعْدَمَا سُرِقَت مِنْهَا مُنْذُ أَشْهُرٍ . . كَمَا أَنَّهَا أَرْسَلَتْ لِي صُورَتُهَا أيضاً ، . . . أَيْضًا تُطْلَب مِنِّي الْمَجِيءِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تحادثني فِيهَا . .

كَفِيلٌ هَذَا ال"شات" بِأَن يَجْعَلَنِي اِرْتَعَب مِنْهَا لَا أَتَعَلَّقُ بِهَا . . . لَكِنَّنِي حقاً شَعَرْت بِأَنَّنِي شَخْصٌ جَدِيد ، شَخْصٍ لَمْ يَحْيَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَوْمَ وَاحِدٍ . . قَد اِكْتَشَفْت حَيَاة جَدِيدَة تُخْبِرُنِي مَنْ هُوَ اللَّهُ بِالْفِعْل . . .

لَمْ أَسْتَطِعْ التَّحَمُّل دُونَ أَنْ أَسْجُدَ لَهُ شكراً ، كَثِيرًا مَا تَمَنَّيْتَ أَنَّ أَسْجُدَ لَهُ بَاكِيًا ، أَخْبَرَهُ بِأَنَّ جَبْرُه وَصلَنِي ، فِي هَذَا الْيَوْمِ كَانَ كَرِيمًا مَعِي لِلْحَدّ الَّذِي جَعَلَنِي أُطِيل السُّجُود واشهق مِنْ الْبُكَاءِ . . فِي هَذَا الْعُمْرَ الّذِي قَاسَيْت فِيهِ كَثِيرًا ، كُنْت أَبْكِي فِي أَحْضان سَجَّادَة صَلَاتِي كَالطِّفْل ، لَا أُصَدِّقُ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّنِي لِتِلْك الدَّرَجَة فيرزقني حُبّ كَهَذَا ويخبئه لِي كُلُّ هَذَا الْوَقْتِ ، أَخْبَرَتْه فِي سُجُودَيْ أنِي أَقْبَل بِتَأَخُّر مَا أُرِيدُ فَقَد أَعْطَانِي الْأَكْثَر . . .

أَنْهَيْت صَلَاتِي الَّتِي طَالَتْ كَثِيرًا عَنْ أَيِّ صَلَاةِ صَلَّيْتَهَا طِوَال حَيَاتِي وَجَلَسَت أُنْظُر لخانة الرَّسَائِل وابتسم ، فَقَدْ كُنْتُ خَائِفًا مِنْ أَنَّ يُوَافِقَ وَالِدَهَا عَلَى عريسها الْآخَر لَكِنَّنِي متأكد . . أَصَالَة مِلْكِي مُنْذُ وَقْتِ بَعِيدٌ..وإخباراها الدائم لي في منامي بألا استسلم..كان للحظة كهذه.

لَمْ أَنَمْ ، حَضَرَت قَمِيصِي الْأَبْيَض وبنطلوني الچينز الْأَسْوَد وحذائي الرِّيَاضِيّ الْأَبْيَض ، بَعَثَت رِسَالَة لشقيقي ليتجهز بَعْدَ عَصْرِ الْيَوْمِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَرُقَيّة ، اتَّصَلَت بَرْقِيَّة لأوقظها

-في إيهِ يَا عمو ؟ حَاجَة حَصَلَت وَلاَ آيَه ؟

--أصحي والبسي وانزليلي تَحْت هنروح مِشْوار .

-دلوقتي ؟ السَّاعَة 10 الصُّبْح ؟

--هاتيجي معايا وَلَا مافيش بْن هايجيلك وَلَا شوكولاته تَأَنِّي ؟

-عشر دَقَائِق هصحي مَامَا أَقُولُهَا وَالْبَس وأجي بِس هفطر مِن ماك .

ضَحِكْت :

-يا بت أنتي طَالِعَة مصلحنجية كَدِّه لمين ؟ دا أَنْت غلبتيني فِي كُلِّ حَاجَةٍ .

بَعْدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِطَوِيلٍ أَتَتْنِي بنعاسها ونفاذ رصيدها مِن التركيز ، صَعِدْنَا السَّيَّارَة وَأَخَذْتهَا لنشتري بَعْضِ الْأَشْيَاءِ لِزِيَارَة الْيَوْم وَفِي الطَّرِيقِ أَخْبَرَتْهَا بِمَا سَيَحْدُثُ الْيَوْم وَاتَّفَقَت مَعَهَا عَلَى اتِّفَاقٍ جَدِيد .

******

"أصالة"

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَت عَلَى صَوْتٍ تَحْرِيكُ بَعْضِ الْأَطْبَاق فِي خَارِجِ غُرْفَتِي ، تَعَجَّبْت فأنَّا لَا أَعْلَمُ كَيْفَ نَمَت ، وَمَتَى ؟ وَقَفْت وَأَشْعَر بِدُوَار شَدِيدٍ مِنْ كَثْرَةِ البكاء وَقِلَّة النَّوْم ، تَوَجَّهَت لِلْخَارِج فتقابلني مَيَّادَة الَّتِي تَقِفُ أَمَام الطَّاوِلَة تضع بَعْض الْأَطْبَاق عليها . . كَم السَّاعَة ؟ وَمَتَى أَتَت هَذِه ؟

-هي السَّاعَة كَأُمّ ؟

--4 واتوضي علشان الْعَصْر أذن والبسي طَقْم علشان فِي نَاسٍ جايين لبباكي .

شَعَرْت بانقباضه :

-ناس مَيْن ؟

اعْتَقَدَ أَنَّ تِلْكَ الَّتِي تخبئها عَنِّي اِبْتِسَامَةٌ ؟

خَرَجَت إِلَيْنَا سهيلة بمعطر الجَوّ تُوَزَّع مِنْهُ فِي أَرْجَاءِ الشُّقَّة وَأَوَّلُ مَا رَأَتْنِي شهقت وَرَكَضَت إِلَيّ تدفعني لِدَاخِل الْحَمَّام وتخبرني أَن أَتَجَهَّز بِسُرْعَة فالضيوف عَلَى وُصُولِ !

كُنْت جَالِسَةً عَلَى الْمِرْحَاض أُفَكِّر ، مَاذَا يُحَدِّث ؟

أَغْضَب أَبِي ، وسيدعوا أَحْمَد وَأَهْلِه لَأَعْتَذِر مِنْهُم ؟ أَنَا نادمة حَقًّا لَكِنْ لَيْسَ لِدَرَجَة الِاعْتِذَار أَنَا اعْتَرَض .

وَأَنَا اعْتَرَض بِالدَّاخِل رَنَّ جَرَسُ بَاب الشُّقَّة وَسَمِعْت جَلْبُهُ فِي الْخَارِجِ وَالْجَمِيع يطرقون بَابِ الْحَمَّامِ لَأَخْرُج بِسُرْعَة ، خَرَجَت مُسْرِعَة بِوَجْه مُبَلَّل وَشَعْر مُبَعْثَر ويدفعونني لِدَاخِل الغُرْفَة وَقَبْلَ أَنْ ينغلق الْبَاب خَلْفِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَتَحَدَّث لوالدتي . .

-مش قلتلكم هاجِي تَانِّي ! وأديني جِيت وَكُنْتُ عِنْدَ وَعَدِي وهتغدى كِمَّان عِنْدَكُم . .

فِي الدَّاخِلِ وَانْظُر للفتيات بِحَمَاس

-مهاب ! !

أَوْمَأْت سهيلة بِالْإِيجَاب ، وَضَحِكَت مَيَّادَة واحتضنتني ، كُنْت أحتضنها بِقُوَّة وارتجف ، أَهْلِ مَا أَفْهَمَهُ الْآن صَحِيحٌ ؟ هَل حقاً مَا انْتَظَرْته يَتَحَقَّق ؟ أَتَت الْمَرَّة الَّتِي يَتَحَدَّث عَنْهَا أخيراً !

-كنت وَاثِقَةٌ أَنْ رَبَّنَا مَش هيخذلك يَا أَصَالَة ، وَكَان شُعُورِي دَايمًا بيقولي إِنَّك هتنوليها ، وَأَنَّه هيجي علشان يَثْبُتُ لِلْكُلِّ إِنَّك مَش مَوْهُومَةٌ . . . مَهَابّ جه خَلَاص يَا أَصَالَة أطمني .

خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ ذِراعَيْها وَنَظَرْت لعيناها الدامعتين ، وضحكنا مِنْ بَيْنِ دُموعُنا

-شكرا إِنَّك طُول الْوَقْت كنتي مصدقاني .

--أنتي اللَّيّ شُكْرًا لِأَنَّك علمتيني كتير وعرفتيني مَعَانِي كتير حُلْوَةٌ فِي الْحَيَاةِ . . وَشُكْرًا لِرَبِّنَا أَنَّه خَلّانِي جُزْءٍ مِنْ الْمُغامَرَة دِي علشان حَيَاتِي تتصلح وَأَفْهَم أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ وَإِنْ الصَّبْرَ هُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ محتاجينه فِي الْحَيَاةِ .

صَاحَت سهيلة :

-بقولكم آيَه مَش وَقْتِه أَنَا عايزة اشوف الرَّاجِل اللَّيّ اسْمُه مَهَابّ دَه عَلَى الْحَقِيقَةِ الْبِسِي بِسُرْعَة علشان نَخْرُج .

تَذَكَّرْت شَيْئًا فَسَأَلْتُهَا :

-بس صَحِيحٌ ازاي اللَّيّ حَاصِل دَه ، طَيَّب وَبَابًا . . أَحْمَدَ طَيَّبَ ؟

أَجَابَت :

-بابا كَلَّمَهُم الصُّبْح وَقَالَه إِنَّك مارتاحتيش ، بعد ما مَهَابّ أتصل بيه واتكلم معاه ساعة وأتفق معاه يَجِي و يجيب أَهْلِه النهارده .

أخذت أقفز من السعادة، وبعيني الدامعة لم اشعر بنفسي إلا وأنا أسجد شكراً لله.

****

"مهاب"

رَزَقَنِي اللَّهُ الْكَثِيرِ مِنْ الْأَشْيَاءِ لِأَكُون سعيداً ، زَارَت قَلْبِي لَحَظَات كَثِيرَةٌ خلدها كذكرى يَنْبِض لَهَا بِقُوَّة عِنْد تَذَكَّرَهَا ، لَكِن لَحْظَة كلحظة نَظَرْتُهَا إِلَيّ وَكَانَ كُلُّ مَا تَتَمَنَّى ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُ . . كَانَت أَسْعَد مَا شَعَرْت بِهِ ، اِبْتِسامَتَها الَّتِي دَامَت طِوَالَ الْيَوْمِ . . وَلُمْعَة عَيْنَاهَا الممتنة ، جَعَلُونِي أَسْعَد بِشَرَّي كُتِبَ لَهُ اللَّهُ مُكَافِئِه مِثْلِهَا .

كَان لِلطَّعَام مَذَاق آخَر حُلْوًا لَا يُنْسَى ، لِلْهَوَاء نُعُومَة أُخْرَى أَشْعَر بلمساتها عَلَى جَسَدِي ، لَمْ يُطَوِّلْ الْحَدِيثَ فِي تَفَاصِيل ، فَقَد تَعَجّلْت لِأَنّ نَقْرَأ الْفَاتِحَة رَافِعِين أَيْدِينَا عَالِيًا وَأَنَا أَنْظُرُ لَهَا مِنْ بَيْنِهِمَا وابتسم . . . كَم كُنْت مَحْظُوظًا بِأَن أَحْظَى بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ . .

رَأَيْت دُمُوع فَرْحَتِهَا ترتجف بَيْن جفونها تَرْغَب فِي الِانْدِفَاعِ لَكِنَّهَا تقاومها

جَلَسَت جِوَارِهَا نَنْظُر لِبَعْضِنَا الْبَعْضِ مِنْ حِينِ لآخَرَ ، لَا يُوجَدُ مَا يُقَالُ فِي لَحْظَةِ كَهَذِه ، فَقَط مَشَاعِرنَا تَتَحَدّث . . .

بَعْدَ قَلِيلٍ قَرَّرْت قَطَع الصَّمْت وَأَمْسَكْت هاتِفِي وَطَلَبَت هاتفها ، قُمْت بِتَسْجِيل خُرُوجِي مِنْ تَطْبِيق الواتساب الْخَاصّ بِهَا مِنْ هاتِفِي أمام عَيْنَاهَا ، وَطَلَبَت مِنْهَا أَنَّ تَفْتَحْهُ لَدَيْهَا . . بَعْدَمَا فَتَحَتْه وَجَدْتُ شَيْئًا كَانَت تَنْتَظِرُه . . . أَصْبَحْت الرَّسَائِل فِي الشات الوهمي مقروءة الْآن ، فَقَد تَلَوَّنَت عَلَامَاتُهَا بِالْأَزْرَق . . فَقَد أَضَفْت نَفْسِي لِهَذَا الْجُرُوب الْخَاصّ بِهَا ، وَأَعَدْت إِرْسَال الرَّسَائِل فِيهِ مِنْ جَدِيدٍ بِالتَّرْتِيب ، وقرأتهم وَسَمِعْتُهُم . . . هَا أَنَا حَقِيقَة مُطْلَقَة . .

-أنا مَوْجُودٌ يَا أَصَالَة ومش هتحتاجيني تَانِّي غَيْرُ لِمَا تلاقيني ، والشات دَه خَلِيَّةٌ زِيّ مَا هُوَ . . . الْيَوْم اللَّيّ تكسفي تتكلمي معايا فِيهِ أَوْ تَخَافِي . . . الجأي فِيه لمهاب الوهمي ، وهتلاقيه بِيَرُدّ عليكي .

****

"أصالة"

مِنَ الصَّعْبِ عَلَى مَنْ عَاشَت الْوَاقِعِ فِي أحلامها . . أَنْ تَصَدَّقَ كَوْنِهِ وَاقِعًا بَعْدَمَا يَجْتَمِع الْوَاقِع بِالْوَهْم فِي وقت وَاحِدٌ . . . كَانَ مِنْ الصَّعْبِ عَلَى أَنَّ أَصْدَق ما يحدث ، كُنْت اِسْتَمْتَع باللحظات وَأَخْشَى أَنْ اسْتَيْقَظَ هَذِهِ الْمَرَّةِ وَاحِدِهَا تَنْتَهِي . .

كُنْت أَخْشَى رَحِيلِه مِنْ مَنْزِلِنَا ، أَرْغَبُ فِي أَنَّ يَظَلّ أَمَامِي طَوَالَ الوَقْتِ ، اكْتَفَيْت مِن غِيَابِه بِالْفِعْل . . . رَحَلُوا وَقَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ أَخْبَرَنِي

-علبة الشوكولاتة الصَّغِيرَة اللَّيّ ادتها ليكي رُقَيَّة أَوَّلُ مَا دَخَلْنَا ، دِي خَاصَّة بيكي لواحدك . . سيبيهم ياخدوا الكبيرة لَكِن الصَّغِيرَة أنتي بِس اللَّيّ تفتحيها .

تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ بَعْدَمَا دَخَلَتْ لغرفتي لأستريح بَعْدَمَا احتفلنا أَنَا وميادة وسهيلة ونامتا الِاثْنَتَان ، أَمْسَكَت بِهَا لافتحها فوجت دَاخِلِهَا رِسَالَة

"لو لسه مافتحتيش الشات الوهمي . . افتحيه قَبْلَ مَا تدوقي الشوكولاتة . . "

فُتِحَت الشات وَأَنَا لَا أَفْهَمُ شَيْءٌ ، لَكِن أَشْعَر بالتحمس فَأَنَا أُحِبُّ المفاجأت

كَانَ هُنَاكَ فِيدْيُو قَصِيرٌ ، قُمْت بتحميله وفتحه لَأَجِد مَهَابّ يَضَع شَيْئًا غَيْرَ وَاضِحٍ فِي الفيديو فِي أَحَدِ أغلفة الشوكولاتة، ثُمَّ يُعِيدُ إِغْلاقُه بِحُكْمِه لِيُصْبِح

كَمَا كَانَ قَبْلَ فَتْحَةِ ، وَيَخْلِط جَمِيل قَطَع الشوكولاتة لتتوه بَيْنَهُم الْمَفْتُوحَة ويعيدهم لِدَاخِل الْعُلْبَة . . . أَمْسَكَت الْعُلْبَة بلهفة وَقَبْل فتحها وُجِدَت اتِّصَال مِنْه فَأَجَبْت وَقَلْبِي يَتَرَاقَص بَيْن اضلعي

-قاعد مستنيكي في الشات من بدري، فتحتيها ؟

--هفتحها حَالًا . .

-طيب مُمْكِنٌ أَقُول حَاجَةَ قَبْلَ مَا تفتحيها ؟

--أكيد . . اتفضل .

-أنا مَهْمَا جبتلك ، وَمَهْمَا عَمِلْت شَيْءٌ حُلْوٌ ليكي فِي الْأَيَّامِ اللَّيّ جاية عُمْرِي مَا هوفيكي حَقَّك . . وَعُمَر مَا فِي حَاجَةٍ تليق بقيمتك عِنْدِي . . بِس بتمنى أَقْدِر أَسْعَدَك . . . . يللا افتحيها .

اِبتسَمَت وأغمضت جفوني ، فَوَقَع كلماته عَلَى قَلْبِي يحتضنه . . فُتِحَت عَيْنِي وَفُتِحَت الْعُلْبَة ، أبْحَث فِي جَمِيعِ الْقَطْعُ عَنْ شَيْءٍ اجهله ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي يَدِي قَطَعَه أَقَلّ سَمَكًا مِنْ الْبَاقِينَ وَعِنْدَ فَتْحِها صَحَّت بِسَعَادَة

-السلسلة ! اللَّه بِجِدّ . . أزاي ؟ جَبَّت زِيّهَا أزاااي ؟ أَنَا كُنْت هتجنن عَلَيْهَا .

ضَحِك بِقُوَّة وَأَجَاب :

-لما بعتي فِي الشات صُورَتُهَا ، كَانَتْ صُورَةُ قَدِيمَةٌ للسلسلة أَوَّلُ مَا جِت وَكَانَ فِي كادِر الصُّورَة شَنْطَة وَعُلْبَة بتوعها ، وَعَلَى الشنطة لوجو الْمَحَلّ

وَالْعِنْوَان ، كبرتهم لِحَدّ ما عرفت الْعُنْوَان واخدت رُقَيَّة وروحنا جبناها . . كُنْت عَارِف أَنَّهَا هتفرحك فَكَان لَازِمٌ أَجْرَب أعوضك بِحَاجَة بسيطة مِنْ اللَّيّ فَات . .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ مِنْ الْمُفْتَرِض ألا أَنَام مِنْ كَثْرَةِ حَماسِي ، لكِنَّنَا تُحَدِّثُنَا لِوَقْت اجهله ، فصوته وراحتي عِنْد مُحَادَثَتِه جعلاني أَنَام وَأَنَا اِحْتَضَن قلادتي وَعُلْبَة الشوكولاتة الْخَاصَّة بِي . . لاستيقظ وَاجِدٌ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ اِخْتَفَى . . لَا هَاتِفٌ فِي أُذُنِي ! وَلَا قِلَادَةً فِي يَدِي ! . . وَلَا أَثَرَ لعلبة الشوكولاتة بِجِوَارِي . .

فَزِعَت وَأَصَابَنِي الهلع أبْحَث فِي أَرْجَاءِ الغُرْفَة لَا أَجِدُ شيئاً ! أَيْن الفُسْتَان الَّذِي ارتديته بِالْأَمْس فَقَدْ كَانَ أَمَامِي عَلَى كُرْسِيِّ الْمَكْتَب ؟

أَيْن مَيَّادَة الَّتِي كَانَتْ تَنَام بِجِوَار سهيلة ؟ أَكُنْت أَحْلَم من جَدِيد ؟ لَا . . لَا يُمْكِنُ سأجن ؟

خَرَجَت أَبْكِي وأنادي لِأُمِّي بِصَوْت لَا يَقْوَى عَلَى الْخُرُوجِ ، قَدَمِي لَا تَحْمِلْنِي فَجَلَسْت أَرْضًا أمَام غُرْفَتِي وَاضِع كفوفي فَوْق عَيْنَاي وَابْكِي ، سَمِعَتْنِي أُمِّي فَاتَت مُسْرِعَة مِنْ الْمَطْبَخِ

-في إيهِ يَا أَصَالَة ؟ مَالَك يَا حببتي ؟

اصرخ بِهِم :

-حلم يَا مَامَا . . . حَلَم تَأَنِّي ، أَنَا تَعِبَت . . تَعِبَت مِن العشم . . تَعِبَت مِن الانتظار . . يَارَبّ بَقِى

قلقت أُمِّي فسألتني :

-حلم آيَه تاني وَانْتِظَار آيَه فهميني ؟

--حلمت بمهاب يا ماما وَأَهْلِه ، وَحَلَمْت أَنَّه اتقدملي وَقُرْآنًا فَاتِحَة . . أَنَا كُنْت فَرِحْت وَصَدَّقَت ، أَنَّا مَا كنتش عايزة أَصْحى . .

****

نَظَرٌ مَهَابّ صَاحِب الثَّلَاثُون عاماً إِلَى أَصَالَة الممددة عَلَى سَرِيرٍ الْمَرْكَز الطِبْي الْخَاصّ ، اِبْتَسَم وَوَضَعَ كَفَّهُ فَوْق بَطْنِهَا الضَّخْم الْمُمَدَّد أَمَامَهَا وَأَكْمَل نِيَابَةً عَنْهَا :

-طبعا جِدَتِك وَقْتِهَا قَعَدَت جُنُبٌ أُمُّك وَفَضَلَت تَضْحَك وندهت لميادة وسهيلة مِن الصالون ، وَكُلُّهُم ضَحِكُوا عَلَيْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ مُفَكِّرَة أَنَّ كُلَّ دَه كَان حَلَم لِمُجَرَّد أَنَّهُم رَتَّبُوا الأوضة وَهِيَ نَائِمَةٌ وشالوا مِن جَنْبِهَا الْحَاجَة اللَّيّ بتثبت إِنِّي مَوْجُودٌ .

ضَحِكْت أَصَالَة وَهِي تُسْنَد بَطْنِهَا الْكَبِير بِصُعُوبَة كَيْ لَا يَهْتَز وَيُؤْلِمُهَا وأضافت وَهِي تبتسم لمهاب :

-كنت خايفة ليكون كُلِّ حَاجَةٍ عشتها وَهُم . . . وماهدتش وَلَا صَدَقَتِهِم غَيْرُ لِمَا سَمِعَتْ صَوْتَ أَبُوك فِي التليفون وبيقولي ماتخافيش يا حبيبتي أَنَا مَوْجُودٌ . . . كَانَت أَحْلَى كَلِمَة حبيبتي سَمِعْتُهَا فِي حَيَاتِي .

أَضَاف مَهَابّ وَطُبِع قُبْلَةُ عَلَى جَبِينَهَا :

-وكانت أَحْلَى جُمْلَة ماتسيبنيش يا مهاب سَمِعْتُهَا فِي حَيَاتِي .

مرر انامله على بطنها وأكمل:

-عايز اقولك من قبل ما تيجي أنك لازم ترضى بكل شيء ربنا كاتبه ليك، ماتعملش زي ابوك اللي فضل يحارب علشان يشتغل مع والده في دول الخليج، وضيع سنين من عمره بعيد عن أمك وهو مصمم على حاجة مش ليه...لولا أمك وقصتها الغريبة ووجودها في الوقت ده تحديداً ما كنتش هرضى بنصيبي، وأقبل بمنعي من الوظيفة دي..علشان في الأخر ربنا يكرمني بأنها ماكانتش خير والشركة تخسر، وجدك يرجعلنا اخيرا بالسلامة...رغم أني زعلت جداً اني بجاهد علشان أكون في الوظيفة دي..إلا أني قصادها ربنا عوضني بأفضل تلت حاجات حصلولي لما رضيت بقضائه...أصالة..ورجوع جدك وحضوره فرحنا..وكمان ترقيتي في الشغل الجديد اللي استلمته...عايزك لما تيجي..

تتعلم إن لكل حاجة وقت مكتوب..وكل وقت مكتوب ليه حكمة..ومكافئة لو صبرت.

دَخَلَت الْمُمَرِّضَة وابتسمت :

-أنتم لسه قَاعِدَيْن فِي النِّقَاشِ العائِلِيّ دَه ؟ مَش هتسيبوه يَجِئ بَقِى وبعدين تحكوله ؟ الدكتور مستنيكم في غرفة العمليات

اِبْتَسَم مَهَابّ قَائِلًا :

-لا طَبْعًا . . كَان لَازِمٌ أُسْتَاذ سُفْيَان يَعْرِفْ هُوَ أزاي مُمَيِّز وَأَنَّه جُزْءٍ مِنْ قِصَّةِ مُمَيِّزَة قَبْلَ مَا يُقَرِّرُ يَجِئ الدُّنْيَا علشان يحب الدنيا زي ما أنا حبيتها من وقت ما قابلت أمه. . . .

تمت بحمد الله.